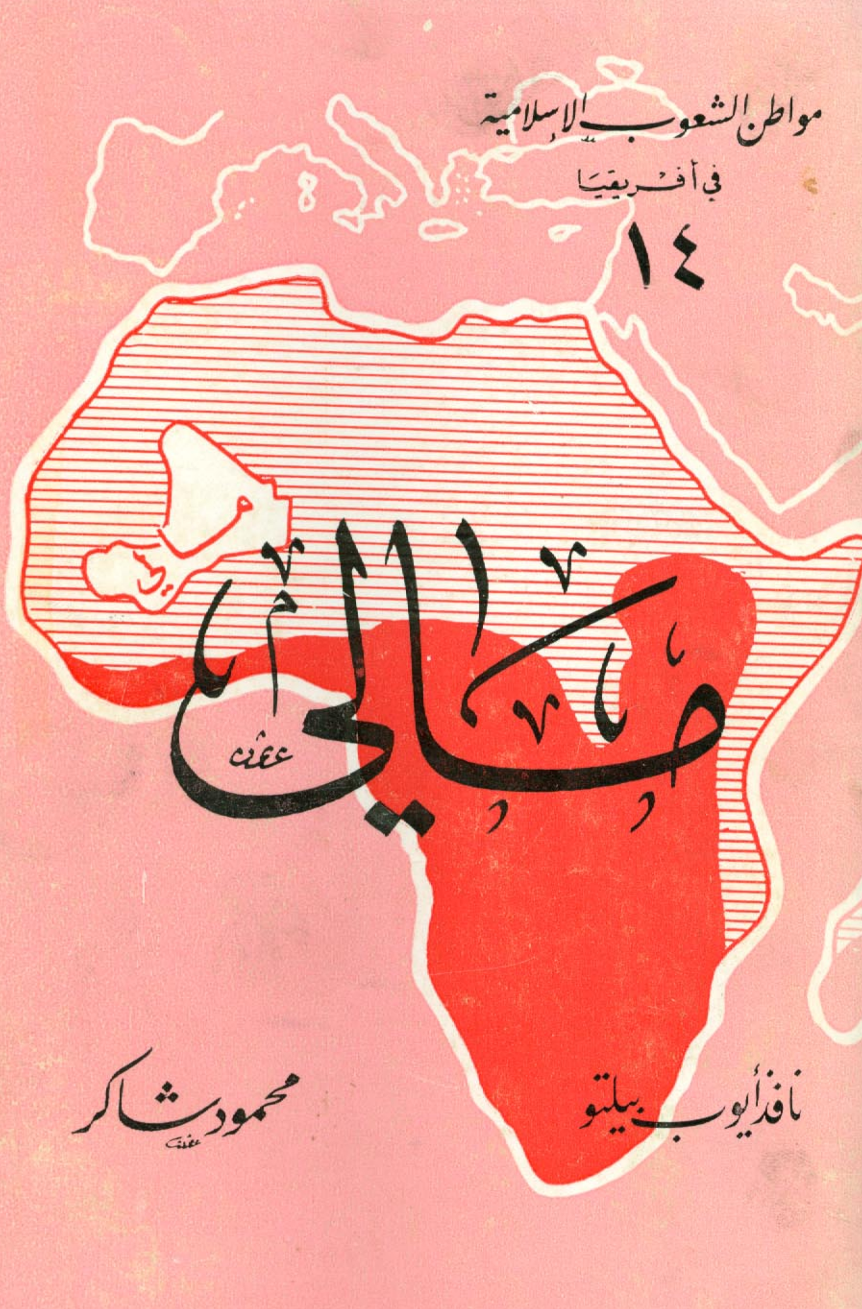


المكتب الاسلامي

١٣٨٧ هـ - ١٩٧٧ م

المكتب الاسلامي - دمشق . ص.ب : ٨٠٠ . برقيا : إسلامي

اعتـــذار

يأخذ هذا الكتاب طريقه إلى المطبعة وئيداً على استحياء من تأخره الذي قارب العشرين عاماً ، فقد وعد به القراء منذ أن بدئت هذه السلسلة بالصدور ، ولكن الظروف حالت دون ذلك ، إذ كان حرصي أن يطلع القراء على البلاد غير المعروفة والمناطق التي تقـع فيها أحداث حتى يضع المسلمون أيديهم على الخطر الذي يحيـق بإخوانهم والأهواء السياسية التي تتقاذف مجتمعاتهم .... ولقد وقعت أحداث في هذه البلاد ولكن حالت الظروف أيضاً دون أن أقدم شيئاً للقراء عن هذا المصر الحبيب ، وانتهت الأحداث ، واستمر التواكل والتأخير . وكلمـا دفعت كتاباً إلى دار النشر شعـرت بالمسؤولية تجاه هـذا الذي تأخرت فيه . حتى زاد التأخير على الحد ، وزاد الخجل على الواقع وغدا بارداً .

والتقيت بأخي الاستاذ نافذ أيوب بيلتو فطلبت منه مساعدتي لنتابع الطريق سوية في تقديم هذه السلسلة لاخواننا لتعريفهـم بأمصارها وكتابة هذه التعريفات الموجزة عن هذه المواطن للقراء ، فاعتذر ، ثم وافق بعد الإلحاح ، موافقة تجره الى الخلف أكثر مما

تدفعه الى الأمام متعللا لنفسه ومعتذراً لها ، وبعد عامين على هذه الحال شمر عن ساعد الجد فقدم إلي بعض الذي بأيديكم ـ جزاه الله كل خير ـ ، كما وعد بالمتابعة ، فأرجو أن يحقق الله النفع ، وأن ينفذ الأخ بما وعد .

والله هو الموفق وهو وحده الهادي إلى سواء السبيل .

غرة جمادى الآخرة ١٣٩٧ هـ

مُقدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فإنه لا يمكن دراسة « مالي » منفصلة عن شمال إفريقيـــة ، فأرضها امتداد لها ، وسكانها جزء من سكان الشمال الافريقـــي ، وهل الجغرافية سوى الأرض ومن عليها ؟ ، ومن ثم فإن عقيدة أهل مالي قد وصلت إليهم عن طريق الشمال عبر الصحراء حملتها القبائل ونقلها التجار والدعاة ، وأسس معظم الدول التي قامت على أرض مالي أسر انتقلت إليها من الشمال ، كما أن المغرب حكم منطقة مالي أكثر من قرن ، وإذا كانت الجغرافية واحدة فالتاريخ كذلك واحد، فكيف يمكن أن ندرس مالي منقطعة بجغرافيتها منفصلة بتاريخهـــا مبتورة عن أمتهـــا ؟

وإذا كان الاستعمار قد وضـــع حدوداً فصلت بين المناطـــق فقسمت الأرض ، وجزأت القبيلة الواحـــدة فعاش جـــزء منها في الشمال وبقي قسم منها في الجنوب إلا أن هذه الحدود لم تستطع أن تقطـــع بـــين القلوب التي وحدت بينها العقيـــدة وألفت بينها الفكرة فكانت أمة واحدة ، وأهالي مالي جزء منها .

وإذا كانت الدعوة إلى الأجناس والتقوقع في المناطق الضيقة قد حجزت بين الشعوب ، وفرقت بين أبناء الأمة الواحدة أصحاب العقيدة الواحدة ؛ إلا أن هذه الدعوة لا يمكن أن تلبث طويلا أمام الفكرة التي تنبع من العقيدة •

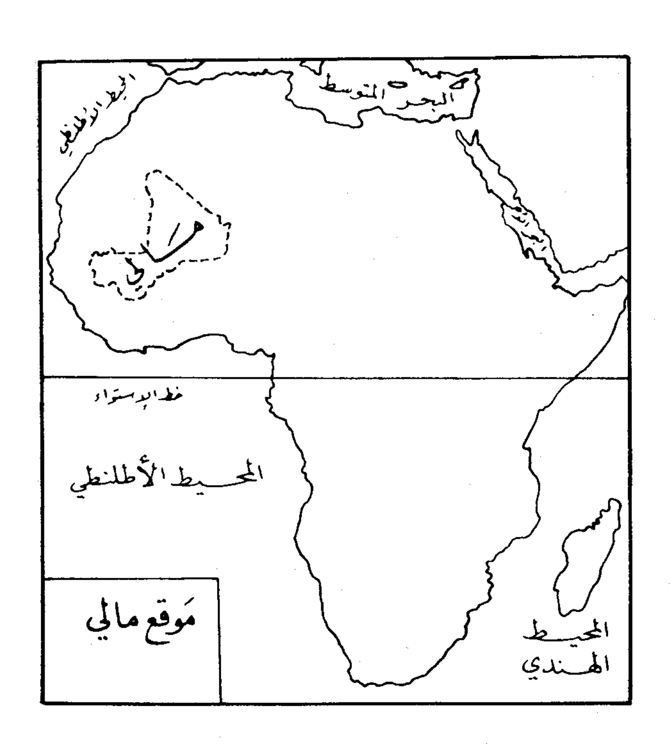
لهذا كله لا بد لنا وقد بدأت تعود إلينا الحياة من جديد من أن نرفض ما صنعه الاستعمار ، ونطرح بعيداً ما قام على العصبيات والتقوقع في أجزاء صغيرة لتستطيع الأمة أن تؤدي واجبها وتقوم بمهمتها في الحياة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله وتجاهد في سبيله •

وكان من واجبنا التعريف بأجزاء الأمة الواحدة فإن المعرفة مدعاة إلى الوحدة ووسيلة ليناصر بعضنا بعضاً ويدعمه •

وقد قسمنا الموضوع إلى أربعة أقسام تحدثنا في الأول عن الجغرافية ، وتكلمنا في الثاني عن التاريخ ، وبحثنا السكان في القسم الثالث ، وأعطينا لمحة عن الاقتصاد في الجزء الرابع •

وقد حرصنا في هذه الدراسة على الاختصار قدر الامكان ، فهي تعريف بهذه المواطن أكثر من أن تكون دراسة •

نسأل الله التوفيق وسداد الخطا وهو نعم المولى ونعم النصير •


البحر المتوسط
مالي
خط الاستواء
المحيط الأطلنطي
المحيط
الهندي

موقع مالي



مَعَ الجغرافية

مالــي

إحدى دول غربي إفريقيــة الكبرى إذ تبلــغ مساحتهــا ١٫٢٠٤٫٠٠٠ كيلومتر مربع • وتجاورها كل من موريتانية والجزائر والنيجر وفولتا العليا وساحل العاج وغينية والسنغال •

السطــح : تتألف أراضي مالي من هضبة مكونة من الغرانيت والصخور الرملية ، ولا يزيد ارتفاعها بوجه عــام على ٥٠٠ متر ، تستوي في أقسامها الشمالية والشمالية الغربية فتبدو كسهل فسيح منبسط تسوده الكثبان الرملية المسماة « ثمورما » والأراضــي الحصوية • في حين ترتفع في أجزائها الشمالية الشرقية قرب حدود الجزائر والنيجر ، وتعد هنا امتداداً لمرتفعات « الهكـّار » ويطلق عليهــا اسم هضبة « أدرار » وكذلك ترتفع في جهاتها الجنوبيــة والجنوبية الغربية قرب حدود غينية وساحــل العاج حيث تكون نهاية السفوح الشمالية لمرتفعات (فوتاجالون) المشهورة في غربي إفريقية • ويفصل بين هذين القسمين من المرتفعات الجزء الأوسط من الهضبة المستوية المعروفة بهضبة (ماندينغ) والتي يجري فيها نهر النيجر • وتنحدر المياه نحوه من كلا الجانبين • وتكون أخفض نقطة في الوسط عند مدينة (تومبوكتو) تقريباً ، ثم تنحدر باتجاه الجنوب الشرقي مع مجرى النهر ، وفي المنطقــة المنخفضة تكثر

المستنقعات وبخاصة في الصيف وتختلط مياه نهر النيجر مع رافده نهر باني ، وتشكل بحيرات أو بركاً تشغل مساحات واسعة مثل « دابو » و « دو » و « كورارو » و « فاغوبيني » وكلها جنوب غربي « تومبوكتو » •

ويجري نهر السنغال نحو الشمال الغربي مع انحدار قليل للارض • ويكون بين المجريين مرتفع وئيد من الأرض ، هو جزء من هضبة « ماندينغ » •

وتكون بعض المناطق المنخفضة في الشمال والمغلقة تؤول إليها بعض السيول مثل « الحريشة » في المثلث الواقع بين الجزائر وموريتانية ، وبالقرب منها «تاؤدني » أيضاً • وهي جزء من سهول « تانزورفت » الممتدة على مساحات واسعة في شمال البلادوجنوبي الجزائر •

أما جنوبي الصحراء فنجد سهول « الأسواق » شمال حدود النيجر حيث وادي «الاسواق» الذي يجري من هضبة « اير » في النيجر ومرتفعات « الهكّار » في الجزائر • اثم سهول «أزواد» شمالي مدينة « تومبوكتو » •

المناخ : تمتد بلاد مالي بين خطي عرض ١٠ ــ ٢٥° شمالا • أي أنها تقع ضمن نطاقين كبيرين هما النطاق السوداني ١٠ ــ ١٨° ، والنطاق الصحراوي ١٨ ــ ٢٥° •

١ ــ الاقليم السوداني : ويمتد على قسم كبير من البلاد ، ويقسم هذا الاقليم الى قسمين بخط العرض ١٥° وهما :

آ ـ **شمالي** : متاخم للصحراء ، ويمتاز بشدة الحرارة وقلة الأمطار التي لايزيد متوسطهـا على ٢٥٠ مم ، تهطل خـلال فصل الصيف ، كما أنها تتناقص كلما اتجهنا شمالا ، وتقل مدتها فلايهطل في مدينة تومبوكتو أكثر من ١٠٠ مم في شهري تموز وآب فقط .

ب ـ **جنوبي** : ويشمل الجزء الجنوبي الشرقي من البلاد ، إذ أن مالي تتألف من جزئين يشبه كل منهما مثلثاً ويلتقي رأساهما في الوسط حيث تضيق البلاد بين مـوريتانيا وفولتا العليا : الأول منهما في الجنوب الشرقي ويشمل هذا القسم أعالي النيجر والسنغال، كما أنه يؤلف الجزء الجنوبي من الاقليم السوداني أي جنوبي خط العرض ١٥° ، وتتراوح كمية المطر بين ٢٥٠ ـ ٥٠٠ مم تهطل خلال سبعة أشهر تمتد من نيسان الى نهاية تشرين الأول ، وتكون الأشهر الأخرى جافة ، والحرارة دائمة تقريباً ولكن تبلغ شدتها في أواخر مدة الجفاف أي في نهاية شباط وآذار .

وتزداد الأمطار في الأقسام الجنوبية والجنوبية الغربية فيبلغ معدلها من ٧٥٠ ـ ١٢٠٠ مم حيث تكون المنطقة مرتفعـة نسبياً ، وكذا تزداد الأمطار في جزء من المناطق الغربية الى الغرب من مدينة (كايس) حيث تكون بلاد السنغال منخفضـة فتصل اليهـا الآثار البحرية مباشرة .

ومن المعلوم أن العرب يطلقون على المناطق التي تزداد الأمطار فيها جنوبي الصحراء باسم الساحل نتيجة وجود المياه وهذا ما ينطبق على الاقليم السوداني في جزئه الجنوبي .

الميـاه : يرتبط نظام وغزارة الشبكة المائية في مالي بالأمطار

ارتباطاً واضحاً ، حيث تزداد هذه الغزارة في فصل الأمطار وهو الصيف وتشح حتى تكاد تنعدم في فصل الشتاء وهو وقت الجفاف ، فنهر النيجر الذي يعد أهم مجرى مائي في البلاد ، تبلغ غزارته في مدينة (تومبوكتو) في الصيف ٠٠٠ر١٠م٣/ثا بينما لا يزيد في فصل الجفاف على ١٠٠م٣/ثا .

ينبع نهر النيجر من مرتفعات (فوتاجالون) في غينيا غير بعيد من حدود « سيراليون » ، ويتجه نحو الشمال والشمال الشرقي ، وما إن يدخل حدود مالي حتى يتلقي مياه رافده الأول (سانكاراني) عند مدينة (كانجابا) ، وينبع هذا الرافد من هضبة (فوتاجالون) أيضاً ، ويسير نحو الشمال ليشكل الحدود بين غينيا ومالي .

يتابع النهر جريانه نحو الشمال الشرقي فيمر بالعاصمة (بوماكو) ، ثم بمدينة (سيغو) ويكون بدءاً من باماكو موازياً لرافده نهر (باني) .

ينبع نهر (باني) من هضبة (فوتاجالون) في ساحل العاج من فرعين هما : (باؤليه) و (باغوي) ثم يرفدهما نهر (بانيغنغ)، ويجري نهر (باني) نحو الشمال الشرقي وبدءاً من مدينة (جني) تختلط مياه نهري النيجر وباني في عدد من التفرعات وبخاصة في الفصل المطير ، ويمر نهر باني بمدينة موبتي .

وتشكل مياه النهرين عدداً من البحيرات والمستنقعات جنوب غربي مدينة (تومبوكتو) ، وتزداد مساحة هذه المستنقعات

والبحيرات في فصل الأمطار .

يتجه نهر النيجر بعد مدينة (تومبوكتو) نحو الشرق حيث تبدأ المناطق بالارتفاع ، فيمر بمدينة (بامبا) و (بورم) وبعد يتجه نحو الجنوب الشرقي فيمر بمدينة (غاو) وعندها يتلقى سيلاعظيما هو سيل (تيلمسي) ، ثم يدخل في حدود النيجر فيمر بالعاصمة (نيامي) ، ثم يتابع سيره نحو الجنوب الشرقي فيشكل الحدود بين النيجر والداهومي ، ثم يدخل حدود نيجرية وتكون المناطق قد ازدادت الأمطار فيها بالاقتراب من المنطقة الاستوائية ، لذا تكثر روافده وبخاصة من جهة اليسار ، وأخيراً يصب في المحيط الأطلسي بعد أن يشكل دلتا واسعة .

وربما كان وادي (تيلمسي) هو الذي حفر مجرى نهرالنيجر بعد مدينة (غاو) وعمّقه ثم استطاع أن يأسر مياه البحيرة الواسعة التي كانت مياه نهر النيجر تنتهي فيها ، أو أن البحيرة قد فاضت مياهها فصبت في وادي (تيلمسي) ، وحفرت المنطقة الفاصلة بين الوادي والبحيرة فاندفعت المياه في الوادي واستمر نهر النيجر في الوادي ...

وهناك أودية أخرى جافة تنحدر من منطقة (أدرار) و (اير) وتجري سيولها نحو حوض النيجر ، وأهم هاذه الأودية ، وادي (زغارات) ووادي (الاسواق) ، وتؤول سيولها إلى نهر النيجر في بلاد النيجر قبل وبعد (نيامي) .

يبلغ طول نهر النيجر من منبعه إلى مصبه ١٥٠٠ كم ، يجري

نصف هـذه المسافة تقريباً في بلاد مالـي • وإن ميـاه البحيرات والمستنقعات تذهب بالتبخر ، ولا يجري من مياه هذه الفيضانات الى النيجر وراء (تومبوكتو) إلا القليل •

ويوجد على نهر النيجر خزان كبير لتنظيم ميـاه الفيضانات وتوفير مياه الري ، ويقع شمال شرقي مدينة (سيغو) عند مدينـة (سانساندينغ) ، ثم أقيم سد آخر بعد الأول عند مدينة (ماركالا) ولا تزيد المسافة بين المشروعين على عشرة كيلو مترات •

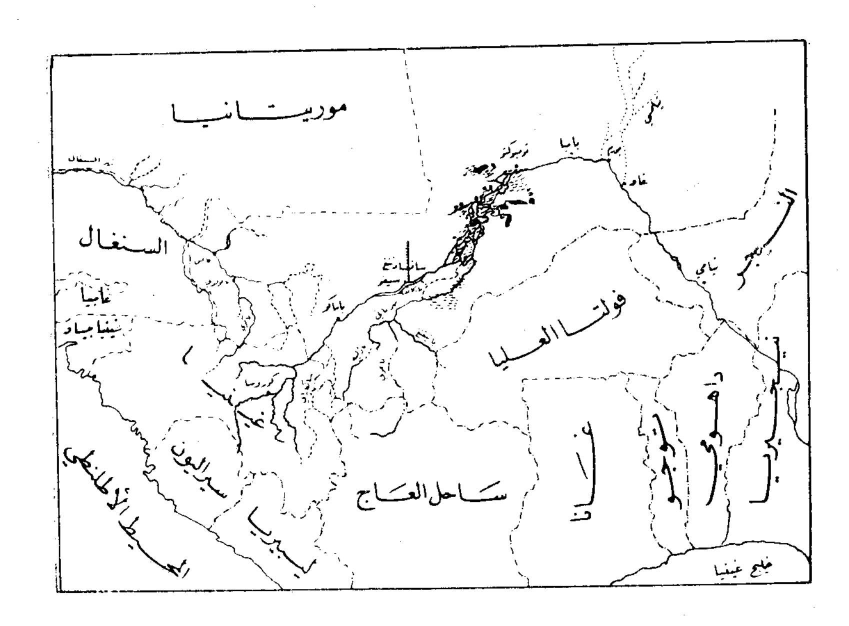
ويصلح نهر النيجر للملاحة فيصل بين مدينة (كوروسا) في غينيا و (باماكو) عاصمة مالي • وتنقطع هذه الصلاحية للملاحـة مسافة ١٥ كيلو مترا شمال باماكو ، ثم تعـود بين (كوليكورو) ومدينة (انسونغو) بعد مدينة (غـاو) قبل الحدود مـع النيجر بثلاثين كيلو مترا تقريبا •

أما النهر الثاني فهـو نهر (السنغال) وينبـع من هضبـة (فوتاجالون) في غينيا ، ويسير نحو الشمال الشرقي فيدخل أراضي مالي، ويتابع جريانه حتى مدينة (بافولابي) ويعرف في هذا المجرى باسم نهر (بافينغ) وعند المدينة المذكورة يرفـده نهر (باكوي) الذي ينبع أيضاً من غينيا وتأتيه مياه من مالي ، ويعرف النهر بعدها باسم « السنغال » ويمر بمدينـة (كايس) متجها نحـو الشمال الغربي ، وبعد (كايس) ترفده مياه قادمة من مالي وموريتانيا وبعد ذلك يدخل في أراضي السنغال •

النبات : تنمو نباتات شوكية في المنطقة الصحراوية • كما

تنمو في منطقة باماكو وبخاصة في المنطقة الفاصلة بين النهرين نباتات عشبية هزيلة،وتنقلب الى شجيرات تلتهمها الحرائق في نهاية الفصل الجاف ، وتتجمع أحياناً بعضها مع بعض لتشكل شبه غابة يبدو عليها أثر الجفاف ، وتكثر فيها الحيوانات والحشرات الكبيرة من نوع (نمل التروميت) •

أما على امتداد المجاري المائية فتنمو غابات كثيفة وهو ما يعرف بالغابات الرواقية ، وتنتشر كذلك أشجار كبيرة مبعثرة مثل (الأكاسيا ـ الباؤباب ـ النخيل الزيتي ـ والأشجار الشوكية) هذا الى جانب شجرة (الطرفاء) التي يؤكل ثمرها ، ويستخرج من بذورها مواد دهنية تسمى محلياً (كاريتي) •




مَعَ التّاريخ

بعد أن فتح المسلمون بلاد المغرب ووصل عقبة بن نافع الى ساحل المحيط الأطلسي عام ٦٠هـ ، انحدر عقبة الى اقليم السوس الادنى (حوض نهـــر السبو) ، واتنصر على قبيلة (مصمودة)[١] البربرية ، ومضى قدماً حتى بلغ مدينة (ماسة)[٢] في بلاد السوس الاقصى ، وغزا مدينة (نفيس)[٣] القريبة من مدينة (أغمات)[٤] ، واستمر في تقدمه على ساحل المحيط الأطلسي حتى وصل الى بلدة (نول)[٥] في أقصى بلادالمغرب حيث كانت بعض قبائل(الملثمين)[٦]

---

(١) مصمودة : قبيلة بربرية تنتسب الى البرانس الذين تنتمي إليهم كبرى قبائل البربر مثل : صنهاجة وكتامة ولمطة ومصمودة .

(٢) ماسة : مدينــة على ساحــل المحيط الأطلسي ، في أول بــلاد السوس الأقصى ، في شمال (اغـادير) اليوم ، وهــي غـير موجودة الآن .

(٣) نفيس : مدينة تقع في جنوب مدينة (مراكش) وباسمها نهر يرفد نهر (تنسيفت) الذي تقع عليه مدينة مراكش .

(٤) أغمات : مدينة تقع جنوب شرقي مراكش ، تشرف على الممرات الجبلية ومن هنا جاءت أهميتها العسكرية . وهي للمصامدة ، تكثر فيها الخيرات حتى لتعد من أغنى بلاد المغرب . بينها وبين مراكش ثلاثة فراسخ .

(٥) نول : مدينة على ساحل المحيط الأطلسي في أقصى بلاد السوس ، وهي حاضرة قبيلة (لمطة) .

(٦) الملثمون : فرع من صنهاجة ، وقد عرفوا بذلك لأنهـم يضعون

تنزل فيها ، واستطاع عقبة إخضاعها لسلطان الاسلام . وفتح بعد ذلك (مسوفة) ، وبنى فيها مسجداً ترك فيه من يعلم الناس مبادىء الاسلام . وفي هذه الاثناء دخلت قبيلة صنهاجة التي كانت تقيم في المغرب الاسلام . وبهذا وصل عقبة بن نافع الى أطراف الصحراء ، وفتح الطريق للاسلام كي ينتقل الى بلاد السودان حيث كانت القبائل تنتقل عبر الصحراء بين السودان وبلاد المغرب . ولكن هذه الجهود كادت تضيع إذ استشهد صاحبها أثناء عودته الى القيروان، في اكمين نصبه له سكان جبال (اوراس)[1] بالقرب من (تهودة)[2] عام ٦٢هـ .

ارتدت قبائل البربر بعد استشهاد عقبة عن الاسلام ، ودخلت مدينة القيروان ، وجرت معارك كبيرة بين الطرفين ، برز فيها من البربر (كسيلة) و (الكاهنة)[3] ، وقد اقتل الأول على يد زهير بن

اللثام ليلاونهاراً حضراً وبدواً ، ولعلهم اتخذوه اتقاء للبرد والحر ، واتقاء من رمال الصحراء ، أو خدعة وتنكراً في الحروب . ومن أشهر قبائل الملثمين (لمتونة) و (جدالة) .

(١) أوراس : جبل بأرض افريقية فيه عدة بلاد وقبائل من البربر ، ويقع اليوم في شرقي الجزائر .

(٢) تهودة : قبيلة من البربر بناحية إفريقية ، لهم أرض تعرف بهم .

(٣) الكاهنة : وتدعى دهيا بنت مانيا من زناتة . وزناتة قبيلة بربرية تنسب الى « البتر » الذين منهم نفوسة واداسة وزناتة ، وهم الذين يقابلون البرانس الفرع الثاني من البربر .

قيس البلوي[1] ، وقتلت الثانية على يد حسان بن النعمان[2] عام ٧٨ هـ • وبعد ذلك تسلم موسى بن نصير[3] قيادة الفتح عام ٧٩ هـ • ووصل الى وادي (دراعة)[4] في أقصى بلاد السوس الأقصى ، والى الاماكن التي كان قد بلغها عقبة بن نافع من قبل وأخضع القبائل التي ارتدت عن الاسلام بعد مقتل عقبة •

---

(١) زهير بن قيس البلوي : يقال : إن له صحبه ، شهد فتح مصر ، ولاه أميرها عبد العزيز بن مروان على برقة عام ٦٩ هـ ، فكانت له مع الروم والبربر وقائع ، استشهد في إحداها عام ٧٦هـ .

(٢) حسان بن النعمان بن عدي الأزدي الغساني ، من أولاد ملوك غسان ، من التابعين ، حدث عن سيدنا عمر بن الخطاب ، من المشهورين في الفتوحات الاسلامية . كان يلقب بالشيخ الأمين ولي إفريقية زمن معاوية بن أبي سفيان ثم كان عاملا على مصر أيام عبد الملك بن مروان ، زحف إلى إفريقيــة بأربعين ألفاً ، وقتل الكاهنة . اعتزل الاعمال في أول عهــد الوليــد بن عبد الملك ، وتوجه إلى أرض الروم غازياً ، فتوفي بها عام ٨٦ هـ .

(٣) موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن زيد اللخمي بالولاء . أصله من وادي القرى بالحجــاز ، كان أبوه (نصير) على حــرس معاوية ، نشأ موسى في دمشق ، وولي غزو البحر لمعاوية ، غزا قبرص . وكان على خراج البصرة أيام الحجاج ، واشترك في غزو إفريقية ، ثم وليها ، وله شهرة في الفتوحات ، توفي بالمدينة وكان حاجاً بصحبة سليمان بن عبد الملك وذلك عام ٩٧هـ .

(٤) وادي دراعة : في أقصى السوس ، يشكل جــزءاً من الحدود المغربية الجزائرية ، يصب في المحيط الأطلسي ، وعليه مدينة صغيرة تعرف باسم (درعة) ، يقول صاحب المعجــم إن أكثر تجارها من اليهود ، وأكثر ثمرتها القصب .

كان موسى بين نصير أبعد نظراً من عقبة بن نافع ، إذ عمل موسى على تقريب البربر اليه ، وولاهم الأعمال وأشركهم مع العرب في إدارة البلاد ، ووجد البربر أن انضمامهم الى العرب يتيح لهم مزايا مادية كثيرة ، وأخرى معنوية ، فأقبلوا على الاسلام إقبالا عظيماً ، ولما عرفوا ما فيه كان إقبالهم عليه غاية بحد ذاته ، لا لمنافع مادية أو مصالح شخصية . وأخذ موسى يفقه الناس في الدين ، ويبني المساجد في كل البلاد التي فتحها ، وبهذا اتيح للبربر أن يجنوا ثمار الثقافة الاسلامية ، وأن ينهلوا من مناهل الحضارة الاسلامية .

انقاد المغرب الاقصى بشعوبه وقبائله لموسى بن نصير ، وشاركوه في فتح الاندلس ، وأخذت جماعات كثيرة من قبائل البربر المختلفة تتدفق اليه طمعاً في الفائدة أو حباً في الجهاد بعد أن دانت بالاسلام ، واتصلت به قبائل الملثمين التي تنتشر في اقليم الصحراء الكبرى حتى حدود السودان الشمالي ، فدعاهم للاسلام فأقبلوا عليه ، ودانوا به ، فبنى المساجد في مدينة (أغمات) التي غدت من أهم مراكز الثقافة الاسلامية في المغرب الاقصى وعلى حدود الصحراء .

وتابع خلفاء موسى السياسة الرشيدة التي اتبعها فقاموا بالدعوة الى الاسلام بين البربر ، إذ عمل (اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر)[1] والي إفريقية من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز

---

(١) اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي بالولاء ، كان فقيهاً

رضي الله عنه على نشر الاسلام في المغرب الاقصى حتى لم يبق في ولايته يومئذ أحد إلا وقد أسلم • كما أرسل الخليفة عمر بن عبد العزيز طائفة من التابعين انتشروا في المنطقة يحثونهم على الاسلام ويبصرونهم بشؤون دينهم •

وقام بعد ذلك عبد الرحمن بن حبيب الفهري[1] بحفر سلسلة من الآبار تصل بين واحات إفريقية وبين مدينة (اودغشت)[2] بصحراء المغرب الأقصى ، واستطاع جنوده بفضل هذه السياسة أن يعبروا الصحراء وأن ينشروا الاسلام بين القبائل الضاربة فيها ، كما أصبحت القوافل بفضل هذه الطريق الصحراوية التي أصلحها

فاضلا ورعا . استعمله عمر بن عبد العزيز على أهل إفريقية ليحكم بينهم ويفقههم في الدين سنة ٩٩هـ فأسلم على يديه عدد كبير من البربر ، وهو أحد العشرة من كبار التابعين ، ، توفي بالقيروان عام ١٣٢ هـ .

(١) عبد الرحمن بن حبيب الفهري : عرف بالصقلبي لطوله وزرقة عينيه وشقرته ، كان بافريقية أيام استيلاء عبد الرحمن الداخل الأموي على الأندلس ، فقاومه ودعا الى بني العباس ، قتل غيلة عام ١٤٢ هـ .

(٢) اودغشت : مدينة قديمة غير موجودة الآن ، تشبه مكة المكرمة حيث تقع بين جبلين حسب راي ياقوت الحموي ، وكانت تعد من أهم مراكز الثقافة الاسلامية في غربي إفريقية . تقع بين خطي عرض ١٨ و ١٩ شمالا اي في بلاد موريتانيا ، كانت محطة تجارية ثم حاضرة قبيلة المتونةمن صنهاجة، ويقال إن أهلها اسلموا على يد المهدي عبيد الله في أواخر القرن الثالث الهجري وكانوا كفارا يعظمون الشمس ويأكلون الميتة والدم .

عبد الرحمن بن حبيب الفهري ، والطريق الساحلية الأخرى القديمة أكثر إمكانية للتحرك نحو غربي إفريقية حاملة معها بالإضافة الى التجارة العقيدة الاسلامية •

بعد هذه الجهود بدأ الاسلام يصل الى منطقة السودان ، وينتشر بين أفراد القبائل هناك عن طريق التجارة وهي قديمة بين منطقة البحر الأبيض المتوسط ومنطقة السودان ، فلما انتشر الأسلام في الشمال بدأ ينتقل مع التجارة الى الجنوب •

ويقال إن بني أمية قد أرسلوا جيشاً إلى داخل إفريقية بقصد فتح السودان ، وقد استقر عدد من أفراده في تلك المنطقة ، وذلك في عام ١٠٢ هـ أي في عهد يزيد بن عبد الملك بن مروان •

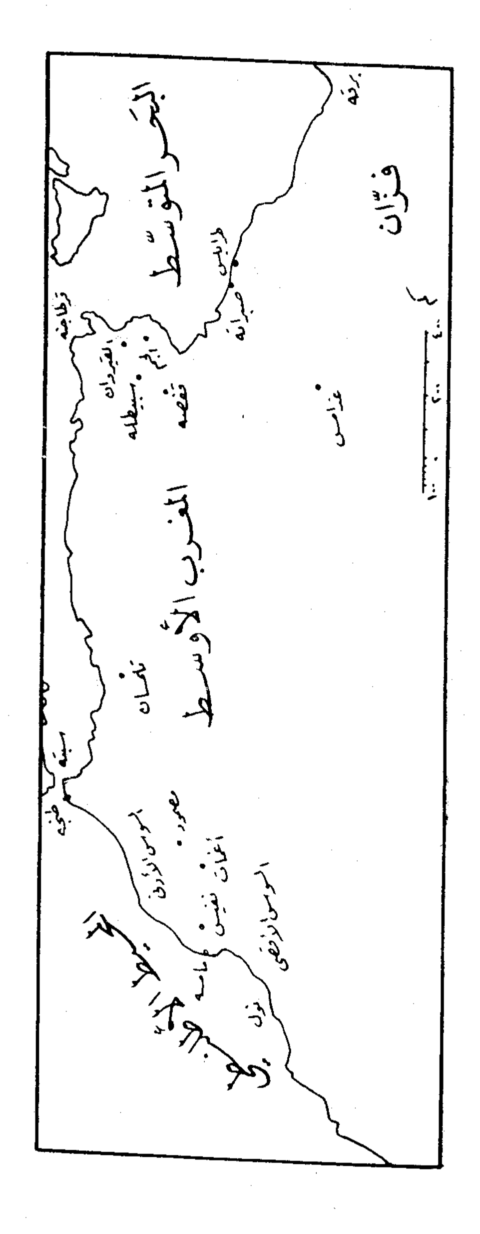
وفي عام ١٧٢ هـ قامت دولة الادارسة[1] في بلاد المغرب الأقصى ، فوجهت أنظار أهل المغرب الى الجهاد بقصد العمل على نشر الاسلام ، ووصل نفوذ الادارسة الى الصحراء الكبرى التي تفصل بلاد المغرب عن السودان ، وكان تأسيس مدينة (فاس)

---

(١) أسس هذه الدولة ادريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب وهو اخو محمد ذي النفس الزكية الذي خرج على العباسيين في المدينة كما خرج اخوه الثاني وهو ابراهيم في البصرة في العام نفسه ، أما هو فقد نجا واخوه الثالث يحيى من معركة فخ في المدينة ، وكانا مع الحسين بن علي بن الحسن ابن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب أيام ثورته على الهادي العباسي عام ١٦٩ هـ . ثم قتل الحسين ، فانهزم ادريس الى مصر فالمغرب ، أما يحيى فقد ذهب الى بلاد الديلم ، واسس فيها دولة أيضا .

لنشر الثقافة الاسلامية فاتحة عهد جديد في تاريخ انتشار العلم في المغرب وغربي إفريقية ٠

انضمت ديار الملثمين تحت لواء الأدارسة وأصبحت جزءاً من أملاكهم ، لذلك زاد تحول قبيلة صنهاجة الى الاسلام الذي بدأ في عهد عقبة بن نافع وزاد في عهد الادارسة وبخاصة في القرن الثالث الهجري ، وكان إسلامهم ذا أثر بالغ في تاريخ المغرب والسودان ، فقد نتج عنه قيام تحالف قوي ضم قبائل الملثمين جميعاً بزعامة قبيلة(لمتونة) فلما تم هذا التحالف بدأ العمل للقيام بتوسع جديد ، ولا يمكن أن يكون هذا التوسع نحو الشمال بسبب قوة الادارسة وحلفائهم من (زناتة ومصمودة) ، لذا لم يبق أمام الحلف إلا أن يتجه نحو الجنوب بقصد الجهاد والعمل على نشر الاسلام بين القبائل الزنجية الضاربة في جنوب بلادها ٠ ومما شجع هذا الحلف على الاتجاه جنوبا ان مملكة غانة في منطقة السودان كان قد اصابها الضعف بسبب الاغارات المتكررة عليها من الجنوب ٠ وكان لهذا التوسع أثره البالغ في تدفق المسلمين نحو الجنوب في بلاد السودان٠ فاستولوا على مدينة (اودغشت)واتخذوهاقاعدة لهم وفرضوا الجزية على اهلها من المغلوبين ٠ الا ان حلفهم قد تفككت عراه عام ٣٠٦ هـ ، مما جعل غانة تستعيد مدينة اودغشت واكتفت بها دون ماحولها حيث تستطيع منها التحكم بطرق التجارة المعروفة انذاك بين بلاد السودان والمغرب وسجلماسة ، ولكن عاد الحلف بين الملثمين المسلمين فاستعادوا اودغشت عام ٣٥٠هـ ثم لم يلبثوا ان تركوها ثانية لغانة ، وهذا الاحتكاك بين السودان والمسلمين قد سهل انتشار الاسلام بين الزنوج ٠


البحر المتوسّط
المحيط الأطلنطي
المغرب الأوسط
فزّان
طنجه
سبته
قرطاجنه
القيروان
سبيطله
الجم
قفصه
تلمسان
طرابلس
صبراته
برقه
غدامس
السوس الأدنى
مصمودة
أغمات
نفيس
ماسه
نول
السوس الأقصى
كم
٤٠٠
٢٠٠
٠
١٠٠

امبراطورية غانة

في الوقت الذي كان الاسلام ينتشر من الشمال كان يقيم في منطقة السودان في غربي افريقية قبائل زنجية ، وكانت أكبر هذه القبائل واكثرها انتشارا قبيلة « الماندينغ » ومعناها الذين يتكلمون لغة الماندي • ولهذه القبيلة أسماء كثيرة الان فالفولاني يسمونهم « مالي » ، ويدعوهم العرب « مليل » أما البربر فيطلقون عليهم اسم « مليت » ويعرفهم الهاوسا باسم « وانقارا »

وهذه الجماعة لهاعدد من الفروع الكبيرة، وغدا كل فرع كأنه قبيلة خاصة أو هكذا يظن بعضهم ، كما يظن بعضهم الاخر أن اسماء القبيلة الكثيرة يدل كل اسم على شعب معين •

ومن أشهر هذه الفروع ــ السونكي ــ والبمبارا ــ والديولا ــ •

واذا كان شمال شرقي مالي منطقة صحراوية انتشر منها الاسلام عن طريق القبائل وانتقالها بين الشمال والجنوب فان جنوب غربي مالي منطقة سودانية وافرة المياه فقامت فيها ممالك متعددة ودخلها الاسلام بطرق مختلفة •

وكانت هذه الممالك موزعة تسيطر احداها على جميعها

عندمـــا تزداد قوتها ، ولا تقضي عليهـــا ، وانما تكتفـــي بفـــرض الجزية ، فاذا قويت عادت وسيطرت على غيرها ، واصبحـــت المحكومة بالامس حاكمة اليوم ومسيطرة ، وقد تعود دولة منهـــ للنهوض مرة ثانية مادام لم يقض عليها ، ولما كانت كل مملكـــة تسيطر على عـــدة ممالك لذا سميت امبراطوريـــات بالاصطـــلاح الحديث . وكان أول الامبراطريات التي قامـــت في المنطقـــة « امبراطورية غانة » .

ففي القرن الاول الميلادي استطاعت جماعـــة من البيض جـــاءت من الشرق أو من شمال افريقية وبخاصـــة من برقة[1] أن تسيطر على جماعة ــ السونكي ــ وان تؤسس أول حكومة في تلك المنطقة وقد كان مقرها مدينة كومبي صالح التي تقـــع بـــين نهري السنغال والنيجر ، في منطقة ــ اوكار ــ ، وقـــد اتسع نفوذ هذه الدولة فشمل مناطق واسعة بين اعالي نهري السنغال والنيجر ،

---

(١) ان منطقـــة جنوب غربي اسباهي موطن البشر ــ على أغلب الظن ــ ومنها انتقل الانسان الى بقية الجهات .. وليس كمـــا يتوهم بعضهم فيعد ان الجنس الفلاني او العنصر الفلاني وجد في منطقة كذا فيخيل للقاريء انه خلق هنا ، وبالتالي فكان اصـــولا متعددة للبشر وهذا ما يخالف الواقع ويناقض ماجاءت به العقائد .

اذن فقول جماعة ما انها انتقلت من الشرق او جاءت منه امر محتمل ولا غرابة فيه ، هذا مع العلم ان كثيرا من الجماعات البشرية تدعي ان اصولها من بلاد العرب لتربط نفسها بالعرب حملة الرسالة الاسلامية من باب الفخر والتبرك .

وكانت تعتمد على الزراعة اضافة الى التجارة التي اشتهرت بها وبخاصة الذهب ، حيث عرف ملوكها باسم ملوك الذهب ، اما الدولة فقد عرفت باسم امبراطورية غانا •

وفي القرن الثاني الهجري استطاع السوننكي طرد الجماعة البيضاء من البلاد ، وتأسيس أسرة حاكمة بقيت في السلطة حتى دخل المرابطون المنطقة عام ٤٦٩هـ • أما الجماعة البيضاء فقد اتجهت نحو بلاد التكرور واختلطت مع السكان ، ولم تعد بيضاء مع الزمن نتيجة البيئة والحرارة والاختلاط مع الزنوج ، واستطاعت هذه الجماعة ان تقيم هناك سلطة سياسية تحكم المنطقة وهذه الجماعة هي التي اشتهرت فيما بعد باسم الفولانيين ، واستمرت في حكمها لبلاد التكرور حتى القرن الخامس الهجري •

استطاعت الاسرة السوننكية ان توسع نفوذها ، وان تسيطر على مدينة «اودغشت» وهي حاضرة قبيلة لمتونة التي هي فرع من صنهاجة ، وكانت فيها حكومة ذات نفوذ من هذه القبيلة ، وكان ذلك عام ٣٨٠ هـ • وضع ملك غانا على اودغشت حاكما من السوننكي ، اضافة الى انه في بعض الاحيان كان يقيم منها حكام غانا أي انها اصبحت المركز الثاني لحكام غانا • وقد عملت امبراطورية اودغشت في ايام قوتها على نشر الاسلام بين الزنوج وبخاصة في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، وكانت تجارة الملح هي الرئيسية وتنقل الى بلاد غانا •

وقد اتسعت هذه الامبراطورية كثيرا حتى شملت المنطقة الواقعة بين اعالي نهر السنغال والنيجر كلها من جهات الجنوب

والشرق والغرب اما من ناحية الشمال فقد امتدت حتى بلاد البربر او نستطيع ان نقول : انها شملت أجزاء من موريتانيا والسنغال وغينيا ومالي في العصر الحديث •

كانت امبراطورية غانا تشمل عدة ممالك أو مناطق على كل منها ملك أو وال ، وكان الحكم في بعض المناطق وراثيا • ومن هذه الممالك التي كانت قائمة :

اوكار : وهي قاعدة الحكم لامبراطورية غانة ، وتقع بين وادي النيجر والسنغال الاوسطين ، وهي : اليوم في جنوبي مورتيانيا وشمالي مالي •
هود : في غربي ولاته ، وتقع اليوم في موريتانيا الجنوبية •
ديارا : الى الشرق من نهر السنغال الاوسط •
بامبوك : على نهر السنغال الى الغرب من ديارا •
التكارنة : وهي في حوض السنغال الاسفل •
تاغانت : عند اودغشت ، وهي في موريتانيا اليوم •
ونقارة : في أعالي نهر السنغال ، وتقع في مالي •
كانياغا : في الجنوب عند أعالي نهري النيجر والسنغال وهي مركز ــ الصوصو ــ ، وتقع في مالي على نهر النيجر ، شمال شرقي (باماكو) •
باسيكور : شرقي العاصمة (كومبي صالح) ، وبينها وبين منطقة ماسينا على نهر النيجر •
كانجابا : عند أعالي نهر النيجر ، وهي مركز الماندينغ (مالي)•

البامبارا : وهم من الماندينغ ويقيمون الى الشرق من كانجابا •
الممالك البربرية : في الشمال مثل ممالك لمتونة وجدالة ، وكانت كلما قويت دولة سيطرت على الممالك الثانية •
وكان الحكم فيها ينتقل الى ابن الاخت •

من كل ماتقدم يدل على ان الاسلام قد انتشر في هذه المنطقة بل تذكر بعض الروايات ان احد ملوك غانا قد اعتنق الاسلام عام ٢٢٣ هـ ، وهو (بولاتان) بل وشن حربا دينية ضد جيرانه من الوثنيين •

ومما زاد في انتشار الاسلام اعتناقه من قبل ملك التكرور الذي دخل فيه عام ٤٣٢ هـ• ولكثرة عدد المسلمين في امبراطورية غانا فقد اصبح لهم مركز وحرية في العبادة ، حتى لقد كانت لهم مدينة خاصة بهم بالقرب من العاصمة أو بالاحرى نصف العاصمة، وان الملك بنى مسجدا في عاصمته ليؤدي فيه من يزوره من المسلمين عبادته ، بل وان عددا من الوزراء كانوا من المسلمين اضافة الى ان االمسلمين هم الذين كانوا يتولون امر بيت المال والترجمة يقول البكري : « ومدينة غانه مدينتان سهليتان ، احداهما التي يسكنها المسلمون ، وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا ، احدها ــ يجمعون فيه ــ اي يقيمون فيه صلاة الجمعة ــ ولهم الائمة والمؤذنون ، وفيها فقهاء ، وحملة علم ، وحواليها آبار عذبة ، منها يشربون وعليها يعتملون الخضراوات •

ومدينة الملك على ستة اميال من هذه وتسمى «الغابة»[1] ، والمساكن بينهما منفصلة ، ومبانيهم من الحجارة وخشب السنط وللملك قصر وقباب وقد أحاط بذلك كله حائط كالسور • وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد عليه من المسلمين ، على مقربة من مجلس حكم الملك ، وحول مدينة الملك قباب وغابات يسكن فيها سحرتهم ، وهم الذين يقيمون دينهم ، وفيها دكاكيرهم ــ الدكور هو الصنم ــ وقبور ملوكهم • ولتلك الغابات حرس ، ولا يتمكن أحد من دخولها ولا معرفة مافيها ، وهنالك سجون الملك ، فاذا سجن فيها احد انقطع عن الناس خبره »[2] •

ويبدو ان المنطقة كانت آنذاك أكثر أمطارا فكانت هناك أودية وروافد تجري نحو نهر النيجر ، وتقع العاصمة (كومبي صالح) على احد هذه الروافد ، وربما تجمعت المياه في مناطق منخفضة وشكلت بحيرات،وقد تكون بحيرة (فاجوبين) **Faguibine** في غربي مدينة تومبوكتو الحالية بعض آثارها •

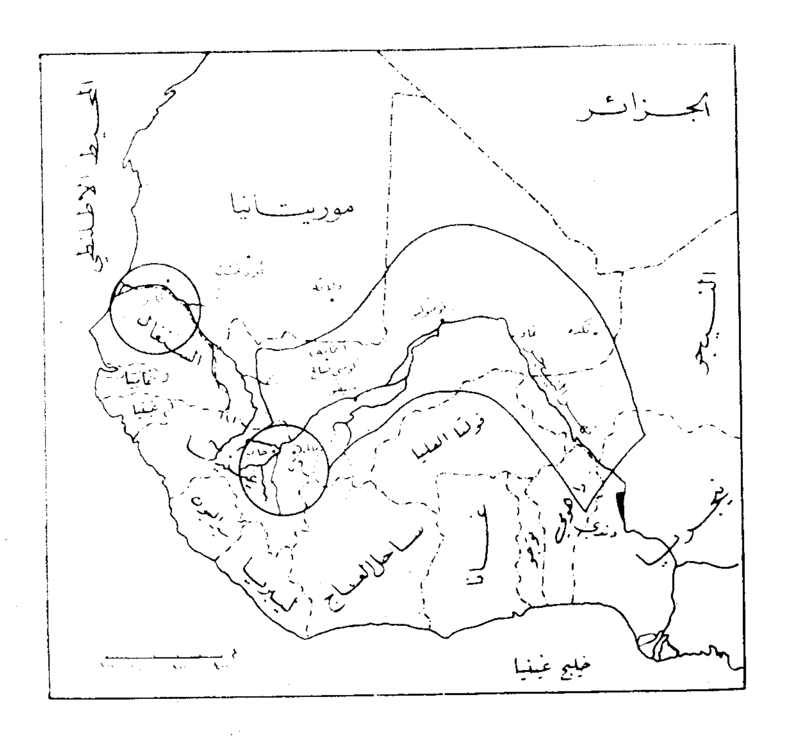
يقول الادريسي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق : « غانة مدينتان على ضفتي البحر الحلو ؛ وهي أكبر بلاد السودان قطرا ، وأكثرها خلقا وأوسعها متجرا » • ويقول كذلك عندما يتحدث عن السكان « ولهم زوارق يتصيدون فيها ويتصرفون بين

---

(١) الغابة : مدينة الملك وعرفت هكذا لكثرة الأشجار التي كانت تحيط بها ، وترتفع بين بيوتاتها .

(٢) المغرب ص ١٧٤ ــ ١٧٥ .

المدينتين بها » ويقول القلقشندي « إنها مدينتان على ضفتي نيلها ، إحداهما يسكنها المسلمون ، والثانية يسكنها الكفار » • ويقول : البكري « وتراجمة الملك من المسلمين وكذلك صاحب بيت ماله وأكثر وزرائه » •



إسلام امبراطورية غانة

كانت الأعمال الحربية مستمرة ـ كماذكرنا ـ بين امبراطورية غانه والحلف القائم بين قبائل الملثمين في الشمال ، إلا أن هذا الحلف لايلبث أن يتصدع فتقوى عليه غانة ، وتستعيد مدينة (اودغشت) ، وتقتل زعيم (لمتونة) التي تتولى رئاسة الحلف ، أمام هذه الهزيمة تخلت لمتونة عن زعامة قبائل الملثمين ، وتتولى ذلك قبيلة (جدالة) ، وتقف في وجه غانة ... ويبدو أن حظ (جدالة) في القتال كان أفضل من خط أختها (لمتونة) وذلك لقرب ديارها من غانة ، ومعرفتها بأحوال تلك البلاد وطبيعتها ، فاستطاعت أن تقف أمام غانة ، وتوقف زحفها نحو الشمال .

كان زعيم (جدالة) في ذلك الوقت (يحيى بن ابراهيم) ، وقد ذهب إلى الحج في تلك الآونة ، وأثناء عودته التقى في القيروان بالفقيه (ابن عمران الفاسي) الذي عجب من جهل يحيى وأتباعه بالاسلام ، ورأى أن يرسل معهم مرشد يمكّن الاسلام في نفوسهم ويفقههم في الدين ، ووقع اختياره على (عبد الله بن ياسين السجلماسي) .

سافر (عبد الله بن ياسين) مع الركب الجدالي إلى بلادهم ،

واستقر مع بعض تلامذته في جزيرة عند مصب نهر السنغال . فشيدوا لهم فيها رباطا ، تفرغوا فيه للعبادة ، ودرسوا الجهاد ؛ حتى إذا بلغ عددهم ألف رجل خرج بهم للجهاد قائلا لهم (اخرجوا على بركة الله ، وأنذروا قومكم ، وخوفوهم الله ، وأبلغوهم محبته ، فان تابوا ورجعوا إلى الحق ، وأقلعوا عما هم عليه فخلوا سبيلهم ، وإن أبوا ذلك وتمادوا في غيهم ، ولجوا في طغيانهم استعنا بالله عليهم وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا)فكانت حركة المرابطين المعروفة .

استطاع هؤلاء المرابطون فتح مدينة (اودغشت) عام ٤٤٦هـ وانقاذها من مملكة غانة ، ثم حملوا أهلها على اعتناق الاسلام ، واستشهد (يحيى بن ابراهيم الجدالي) في المعركة التي فتحت فيها مدينة (اودغشت) ، فخلفه في زعامة المرابطين (أبو بكر بن عمر) زعيم لمتونة ، ولم يمض وقت طويل حتم استشهد عالم المرابطين (عبد الله بن ياسين) في حرب شنت ضد قبيلة (برغواطة) ،وهكذا بقي (أبو بكر بن عمر) وحده في الميدان ، فاستعان بابن عمه (يوسف بن تاشفين) الذي أسس مدينة مراكش ، ولكن لم يلبث أن وقع الخلاف بين الرجلين ، فانصرف يوسف بن تاشفين نحو الشمال ، وجاز بحر الزقاق إلى الاندلس ، يساعد المسلمين على أعدائهم الصليبيين ، بينما انكفأ (أبو بكر بن عمر) نحو الجنوب يعمل على نشر الاسلام بين قبائل الزنوج الوثنية . وكانت هذه المدة حافلة بدخول الناس في دين الله أفواجا وبخاصة في منطقة السنغال حيث تحولت أسرة (الفولاني) إلى الاسلام عام ٤٦٩ هـ .

وفي الوقت نفسه كانت امبراطورية غانة قد ضعف أمرها ، وانكمشت سلطتها ، وتفككت ممالكها ، واستقلت بعض أقاليمها ، واستطاع المرابطون بمساعدة (التكرور) دخول عاصمة غانة كومبي صالح عام ٤٦٩ هـ ، وفرض الاسلام على جميع البلاد • وقبل ملك غانة (تنكامنين) الدخول في الاسلام ، والخضوع لسلطان المرابطين ، وباسلام الملك دخل الكثير من رعاياه في الاسلام •

ضعف أمر المرابطين ، فاستطاع سكان غانة من السوننكي الاستقلال عن المرابطين إثر وفاة زعيمهم (أبو بكر بن عمر اللمتوني) وذلك عام ٤٨٠ هـ ، وأعلن السوننكي الارتباط بالدولة العباسية مباشرة ، وقد أصبحوا من المسلمين بل وشديدي الحماسة لنشر الاسلام ، وتفرغ بعضهم للدعوة وأصبحت كلمة « سوننكي » مرادفة لكلمة داعية عند كثير من قبائل « الماندينغ » وأجبر ملوك غانة شعوبهم على لبس العمامة ، وادعوا الانتساب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب •

كثرت المساجد ، وعم تعليم القرآن الكريم وقواعد الدين واللغة العربية ، وألحق كل مسجد بمدرسة ، وغدت اللغة العربية اللغة الوحيدة للعبادة والثقافة كما أنها لغة التجارة •

ولكن مملكة غانة لم تلبث أن انهارت ، وقامت على أنقاضها مملكة « الصوصو » ، ولعل من عوامل الاضمحلال الذي أصاب مملكة غانة الجفاف الذي عم في المنطقة، فانتقلت جموع من السكان

والقبائل نحو الجنوب ، واستقرت في تلك الجهات التي هي أكثر أمطارا ، وهذا ماجعل المناطق الشمالية وبخاصة اوكار التي كانت قاعدتها « كومبي صالح » يقل سكانها ، ويضعف أمر التجارة فيها ، فيتركها بعض الاغنياء ويظهر عليها أثر الفقر ونقص الحاجيات التي كانت تتوفر فيها بكثرة .

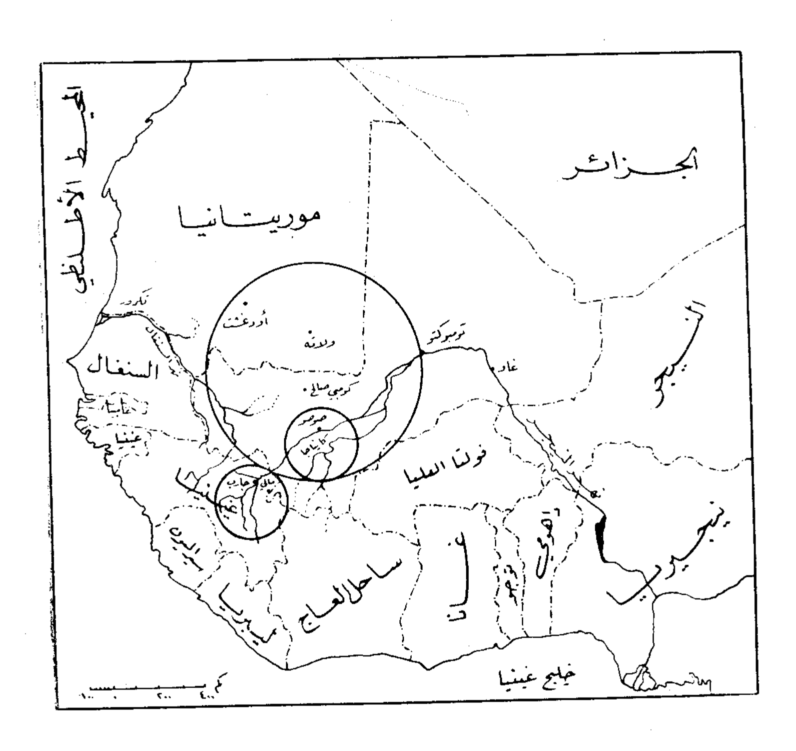
امبراطورية الصوصو

هاجرت جماعة من الفولانيين من بلاد تكرور واتجهت نحو الشرق ، واستقرت في منطقة « كانياجا » واستطاعت بعد مدة من الزمن أن تؤسس طبقة حاكمة ، حكمت شعب « الصوصو » ، وعرفت باسم « امبراطورية الصوصو » .

طمع شعب الصوصو في الاستقلال بعد أن استطاع المرابطون فتح غانة ، فاستقلوا في منطقتهم « كانياجا » ، ثم بدؤوا بالهجوم على عاصمة غانة « كومبي صالح » ، وقد تمكنوا من دخولها عام ٦٠٠ هـ ، كما تمكنوا من الاستيلاء على بلاد غانة وضمها الى امبراطوريتهم الناشئة وقد هرب عدد من المسلمين والتجار من مدينة كومبي صالح إلى الصحراء ، وأسسوا مركزا تجاريا جديدا في بلدة « ولاته » على بعد بضع مئات من الكيلومترات إلى الشمال من مدينة كومبي صالح، وعلى مر الايام فقد نما هذا المركز التجاري ، وأصبح من أهم الاسواق في الصحراء الكبرى . أما مدينة كومبي صالح عاصمة غانة فقد دمرها الصوصو ، ومحي أثرها من التاريخ .

هاجم الصوصو دولة (الماندينغ) في منطقة « كانجايا »

عام ٦٢٨ هـ وقتل ملك الصوصو (سومانجارو) ملك «الماندينغ»
(ناري فامغان) وأولاده جميعا باستثناء الصغير منهم ، فقد تركه
لصغره أو لضعفه ومرضه وهو « سندياتا » أو كما عرف باسم
« ماري جاطه » ، ولكن لم يمض سوى خمس سنوات حتى استطاع
(ماري جاطه) أن يؤسس جيشا قويا ويقوده لقتال الصوصو ،
وتمكن من الانتصار على الصوصو عام ٦٣٣ هـ في معركة فاصلة
قتل فيها امبراطور الصوصو الذي تمزقت امبراطوريته من بعده .
وسار ماري نحو عاصمة غانة القديمة ودمر ما بقي منها عام ٦٣٨ هـ
ولكنه ترك المسلمين الذين فروا من) كومبي صالح (إثر غزو
الصوصو ولجؤوا إلى (ولاته) وأسس (ماري جاطه) مملكة
واسعة عرفت باسم « مملكة مالي » .



المحيط الأطلنطي
الجزائر
موريتانيا
السنغال
النيجر
نيجيريا
فولتا العليا
ساحل العاج
ليبيريا
خليج غينيا
أودغشت
ولاته
تومبوكتو
كومبي صالح
غامبيا
غينيا

مملكة مالي

أعاد (سندياتا) أو (ماري جاطه) دولة مالي ، وهي قديمة حكمتها عدة أسر منها أسرة (تراوري) ومنها أسرة (كيتا) التي قضى عليها الصوصو ثم أعادها (ماري جاطه) ، وكانت تتبع غ ة، وبدأت تنمو وتتسع ، في ظلها ثم استقلت ، وقضى عليها الصوص ، ثم أعادها (ماري جاطه) ، وقد نجا من القتل الذي لحق بأبيه وإخوته الأحد عشر، وكانت هذه الدولة من أعظم الممالك الاسلامية في السودان الغربي في المدة الواقعة بين عام ٦٣٩ هـ إلى عام ٨٩٤هـ وكانت تمتد فيما بين بلاد بورنو في الشرق والمحيط الاطلسي في الغرب ، وبين جبال البربر في الشمال ونطاق الغابات في الجنوب ، وتشمل من الدول الحديثة أجزاء من موريتانيا والسنغال وغامبيا وغينيا ومالي وساحل العاج وليبيريا وسيراليون •

حكمت هذه الدولة عدة أسر في أيام خضوعها لامبراطورية غانة ومن قبل ، وآخر هذه الاسر أسرة (كيتا) التي ينتسب إليها (ماري جاطه) ، وتدعي هذه الاسرة الانتساب إلى بلال الحبشي رضي الله عنه مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا قول نلاحظه في كثير من الحكومات والاسر الاسلامية من باب التبرك ،

إن جد أسرة (كيتا) هو (موسى ديجيو) الذي حكم مالي ٥٩٧ ــ ٦١٥ هـ ، واتخذ مدينة (جارب) التي تقع على نهر النيجر إلى الجنوب من (باماكو) عاصمة له ، وقضى حياته في التقوى والعمل الصالح ، وربما هو كان المشهور في الكتب العربية باسم (بومندانه) ويقول بعض المؤرخين : هذا الرجل الحاكم كان أول من دخل الاسلام من ملوك مالي ، ولكن ابن خلدون يقول : إنه أول من حج إلى مكة المكرمة وليس أول من أسلم •

خلف (موسى ديجيو) ابنه (ناري فامغان) في الحكم ؛ واستمر حكمه لدولة مالي (٦١٥ ــ ٦٢٨ هـ) ، وبذل جهودا كبيرة في سبيل نشر الاسلام والدعوة إليه بين قومه ولاسيما بين قبائل (البمبارا) • وفي أواخر أيامه هجم الصوصو على دولته وقضى عليه وعلى أبنائه ونجا منهم (ماري جاطه) ــ كماذكرنا ــ•

يعد (ماري جاطه) وارثا لابيه (ناري فامغان) فقد انتصر على الصوصو عام ٦٣٣ هـ ، وضم إليه أملاك امبراطورية غانة عام ٦٣٨ هـ • وفي العام نفسه نقل عاصمته من (جارب) [1] في (كانجابا) إلى مدينة جديدة أنشأها على نهر النيجر (نهر سانكاراني) [2] إلى الشرق من (جارب) وقد سميت (نياني)

---

(١) جارب : مدينة تقع على نهر النيجر الأعلى جنوبي مدينة (سيجوري) ، وتقع اليوم في دولة (غينيا) •

(٢) نهر سانكاراني : من روافد نهر النيجر ويشكل اليوم جزءا من الحدود بين غينيا ومالي ، ويرفد نهر النيجر عند مدينة كانجابا في مالي قريبا من الحدود الغينية على بعد ٦٥ كم منها •

واشتهرت باسم مالي . وأصبحت فيما بعد علما لدولة الماندينغ ، وأصبحت هذه المدينة مركزا تجاريا هاما إذ بدأ التجار يفدون إليها ، ويقيمون فيها ، وبعد عام ٦٣٨ هـ لم يشترك (ماري جاطه) في الأعمال الحربية ، وإنما كانت جيوشه تصل إلى إمارات الهاوسا في شمال نيجيرية اليوم وهي (كانو) و (كتسينا) و (زاريا)وإلى سواحل المحيط الاطلسي وقلب الادغال والغابات في الجنوب كما تتوغل شمالا في الصحراء .

تولى حكم مالي بعد موت (ماري جاطه) عام ٦٥٣ هـ ابنه (منسى علي) وكان من أعظم حكام بلاده ، محبا للسلام معروفا بالتقوى والصلاح ، وقد أدى فريضة الحج عام ٦٥٨ هـ . وفي أيامه ضمت مالي إليها (بامبوك) و (وانقاره)، كما بسطت نفوذها على دولة (صنغاي) الناشئة وأخذت منها عددا من الرهائن لضمان خضوعها واستسلامها .

توفي (منسى علي)عام ٦٦٩هـ ، فتعرضت البلاد بعده لفترة من الاضطراب دامت من (٦٦٩ ــ ٧٠٧هـ) تولى خلالها عدد من الملوك منهم :

١ً ــ (منسى علي) شقيق (منسى علي) وسميه حكم من ٦٦٩ ـ ٦٧٣ هـ .

٢ً ــ (خليفة) شقيق (منسى علي) وحكم من ٦٧٣ ـ ٦٧٤ هـ .

٣ً ــ (ابو بكر) سبط من أسباط (ماري جاطة) وحكم من ٦٧٤ ــ ٦٨٤ هـ .

٤ً ـ (ساركوه) مولى من موالـي (أبو بكر) اغتصب العرش ٦٨٤ ـ ٧٠٠ هـ • غزا بلاد تكرورو (وانقاره) و (غـاو) عاصمة (صنغاي) ، وفي أيامه عم الرخاء وتوسعت التجارة ، وقد أدى فريضة الحج عام ٧٠٠ هـ ، وأثناء عودته عـن طريق الحبشة والسودان هاجمته جماعة من الدناقل عند ساحـل البحر الاحمر وقتلوه •

٥ً ـ (منسى قو) وهو ابن (ماري جاطـه) وحكـم من ٧٠٠ ـ ٧٠٥ هـ •

٦ً ـ (محمد) ابن (منسى قو) وحكم من ٧٠٥ ـ ٧١٠هـ

٧ً ـ (أبو بكر) وحكم من ٧١٠ ـ ٧١٢ هـ • وهو الذي سافر بالمحيط الأطلسي ليكتشف ما بعده ، ولم يعد •

وبعده وقعت فتن واضطرابات انتهت بنقل العرش الى أبناء أخت (ماري جاطة) وكان أولهم (منسى موسى) بن أبي بكـر الملك السابق • وهو الذي يعد من أعظم ملوك امبراطورية مالي ، صالحاً ورعاً ، يجيد العربية ، أقام علاقات مع الدول القائمة في مصر والمغرب ، فتح بلاده للمسلمين الفارين من الاندلس • وبلغت دولة مالي في عهده ذروة مجدها وقوتها واتساعها •

توفي (منسى موسى) عام ٧٣٨ هـ ، وخلفـه ابنـه (مغان الأول) أو (منسى مغان) ودام حكمه من (٧٣٨ ـ ٧٤٢ هـ) ، وفي عهده عادت الفرقة الى البلاد ، فهاجمت قبائل (الموش)المقيمة في اقليم (باتنغا) في فولتا العليا البلاد ، وصلت الى (تومبوكتو) فأحرقتها ، وأبادت حاميتها من الماندينغ •

تولى (سليمان) بن (منسى موسى) عم (مغان الأول) وهو معروف بالتقوى والصلاح والتفقه في الدين ، واستمر حكمه من ٧٤٢ ــ ٧٦٢ هـ ، وقد استطاع أن يعيد معظم البقاع التي خرجت عن طاعة مالي ، ومع ذلك فقد فشل في استعادة (غاو) عاصمة (صنغاي) . وقد بنى المساجد والمنارات ، واستدعى الفقهاء من خارج البلاد ، وأدى فريضة الحج عام ٧٥٢ هـ .

تولى حكم امبراطورية مالي بعد سليمان ابنه (قنبتا) ، ولم يحكم سوى تسعة أشهر حيث مات بعدها ، فأخذ الحكم (ماري جاطه الثاني) بن (مغان الأول) ٧٦٢ ــ ٧٧٦ هـ ، وكان سيء السيرة مبذراً أتلف مافي خزائن الدولة ، ولكنه كان حسن الصلة مع سلاطين المغرب ومصر .

جاء إلى الحكم (موسى الثاني) بن (ماري جاطه الثاني) ، وكان أحسن سيرة من أبيه ، ولكن وزيره استبد بالأمر ، وحجر عليه ، فحارب دولة (صنغاي) التي كانت قد احتلت أجزاء واسعة من دولة مالي ، وتجاوزت جيوشه عاصمتها (غاو) دون أن تدخلها ، كما حارب الملثمين في الشمال .

توفي (موسى الثاني) ٧٨٩ هـ فخلفه أخوه (مغان الثاني) إلا أنه قتل عام ٧٩٠ هـ في فتنة داخلية وأخذ الحكم (صندكي) زوج أم موسى ، واستمر فيه حتى عام ٧٩٣هـ ، وتميزت فترة حكمه بحدوث فتن كثيرة استغلها أحد أفراد الأسرة واسمه (محمود) فأخذ الحكم ، وتولاه باسم (منسى مغان) عام ٧٩٣ هـ . وتختفي

المعلومات عن ملوك مالي بعد هذه المدة حتى تندمج في دولة صنغاي عام ٨٩٤ هـ .

ومن أهم عوامل الضعف الذي منيت به دولة مالي :

١ ــ ضعف كثير من الحكام .

٢ ــ هجمات الطوارق المتلاحقة والمتتابعة والتي انتهت باستيلائهم على (تومبوكتو) و (ولاته) ، وسيطرتهم على معظم مناطق مالي الشمالية .

٣ ــ أعمال الغزو والتخريب التي كانت تقوم بها قبائل (الموش) الوثنية .

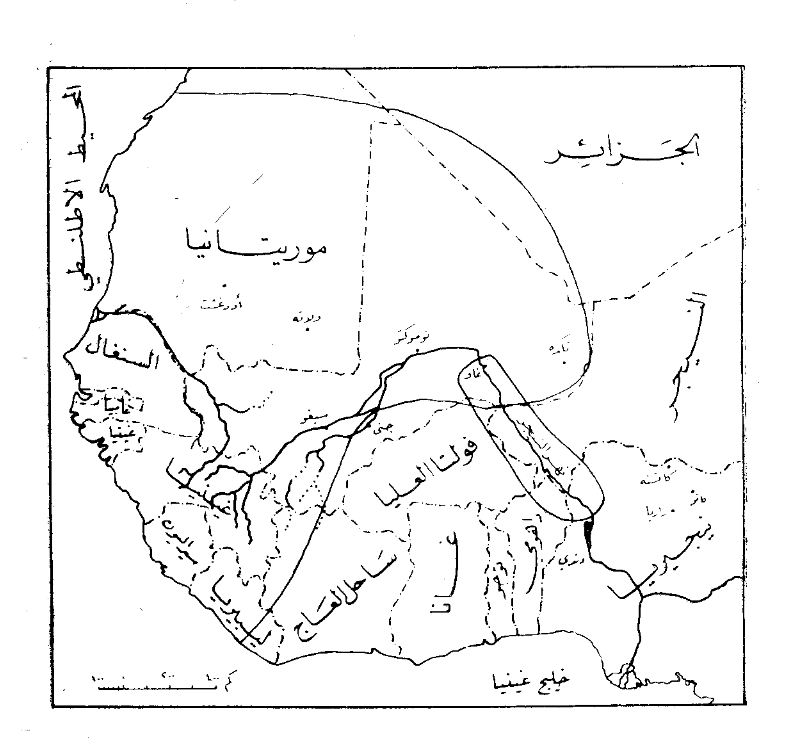
٤ ــ هجمات الفولانيين والتكارنة على (أباميوك) .

٥ ــ انفصال دولة صنغاي عن مالي واستقلالها حوالي منتصف القرن الثامن الهجري إثر هرب الرهائن (علي كولن وسليمان نار) من مالي إلى غاو وتأسيسهم لامبراطورية صنغاي التي نجحت فيما بعد بالاستيلاء على مالي كلها وبسط سلطانها عليها .

ورغم كل ذلك بقيت مالي محتفظة بكيانها السياسي في (كانجابا) منطقتها الصغيرة التي نشأت فيها والتي هي قاعدتها الأولى ، وكثيراً ما حاولت الخروج على ملوك الصنغاي ، واستعانت بقوى خارجية فقد استنجدت بالعثمانيين عام ٨٨٦ هـ وطلبت حمايتهم ، وطلبت المساعدة من البرتغاليين الذين بدؤوا يثبتون أقدامهم على السواحل الغربية ، وقد أرسلت البرتغال سفارة لهم برئاسة (بطرس فرناندو) عام ٩٤٠ ــ ٩٤١ هـ إلى (منسى مالي)

محمود الثاني ، وكان نتيجة هذه السفارة جلاء الفولانيين والتكارنة عن حوض نهر (فاليم) ، وفي الوقت نفسه فقد شجع هذا (منسى مالي) على القيام بثورة ضد صنغاي عـام ٩٤٠هـ للتخلص من سيادتها ، إلا أن الصنغاي قمعوا ثورته بشدة الأمر الذي أدى إلى قيام الفتن والانقسامات واعتداءات الجوار ، إلى أن انتهى الأمر بالسيطرة المراكشية بعد القضاء على امبراطورية الصنغاي •

وأثناء انشغال أمراء الصنغاي في الكفاح ضد الغزاة ، تحرك سلطان مالي (محمد الثالث) كما تحرك سلطان (ماسنا) الفولاني (حمد آمنة) ، ونجحا في التحرر من سلطـة صنغاي ، واستعادت مالي بعض أملاكهـا المفقودة ، وطمعت في الاستيلاء على مملكـة (جني) فهاجمتها عام ١٠٠٧ هـ ، ولكن المراكشيين أيام السعديين وكانوا قد سيطروا على المنطقة ودخلوا (تومبوكتو) عام ١٠٠٠هـ قد أبادوا قوات مالي ، ومنذ ذلك التاريخ أفل نجم دولة مالي من تاريخ السودان الغربي ، وإن كانت تظهر بعض الأحيان على شكل ضعيف ، إذ حاول ملكها (ماما مغان) عام ١٠٨١هـ أن يتوسـع ولكنه هـزم أمام ملك (السيغو) من (البمبارا) أحد فـروع الماندينغ ، فتقلصت دولته وخلفـه (مامبي كيتا) لمدة خمسة عشر عاما ، ثم خلفه أبناؤه من بعده ، فتفرقوا بعد أن اقتسموا السلطة فيما بينهم ، واستقر آخرهم في (باماكو) •



الجزائر
موريتانيا
السنغال
غامبيا
غينيا
فولتا العليا
ساحل العاج
ليبيريا
غانا
خليج غينيا

امبراطورية الصنغاي

الصنغاي : مجموعة من القبائل الزنجية كانت تعيش في غربي نهر النيجر الأسفل ، في المنطقة الواقعة اليوم شمالي بنين (الداهومي) وغربي نيجيرية الى الغرب من نهر النيجر ، ثم أخذت هذه القبائل تنتقل نحو الشمال مع نهر النيجر ، ثم استقرت حوالي القرن السابع الميلادي أو الأول الهجري ، وهم اليوم في مالي في منطقة (غاو) على نهر النيجر ، وفي دولة النيجر عيد مجرى النهر وحول مدينة (اغاديس) في الداخل .

وفي الوقت نفسه هاجرت جماعات من قبيلة لمتونة البربرية الى تلك الجهات ، واستطاعت أن تقيم حكومة فرضت سيطرتها على قبائل تلك المناطق من الصنغاي ، وقد تنقلت العاصمة مع التنقل نحو الشمال فكانت في (دندي) أول الأمر ثم (كوكو) وأخيراً استقرت في (غاو) .

امتدت امبراطورية مالي في عهد (منسي علي) بن (ماري جاطة) كثيراً وبسطت نفوذها على دولة (صنغاي) الناشئة وذلك في منتصف القرن السابع الهجري ، وأخذت منها عدداً من الرهائن

لضمان خضوعها واستمرارها ، إذ سبق أن ذكرنا أن سيطرة مملكة على الممالك الثانية لا تقضي عليها وأن تكتفي بفرض الجزية عليها • وكان من هذه الرهائن ولدا ملك صنغاي (زاياسبي) وهما (علي كولن) و (سليمان نار) ، وهما طفلان صغيران •

استطاع علي كولن وأخوه سليمان نار أن يفرا من الماندينغ ، وأن يتجها نحو (غاو) فانقذاهـا من الحامية الماندينغية ، وأسسا مملكة جديدة بدأت تتوسع على حساب دولة مالي ، وذلك في عهد (مغان الأول) حوالي عام ٧٤٠ هـ ، وكان علي كولن أن تولى عرش هذه المملكة ، ولم يدم حكمه طويلا حيث كان كبير السن فخلفـه أخوه سليمان نار في الحكم • ولكن مدة استقلال (صنغاي) لـم تدم طويلا إذ عادت فخضعت اسميا لسلطان مالي ، ولكن ما لبث سلطان مالي أن بدأ يضعف على المناطق الشرقية التي توجد فيهـا مملكة صنغاي فقوي أمرها ، وفي عهد ملك مالي موسى الثاني سار وزيره ماري جاطه الى المناطق الشرقية ومع أنه استطاع تجـاوز مدينة (غاو) إلا أنه لم يدخلها •

وفي عام ٨٢٣ هـ قام ملك (الصنغاي) محمد دوغـو بحملة ضد ملك مالي فأخضع قبائل (البمبارة) ، وثبت دعـائم حكمه ، وتخلص من سيطرة مالي التي كانت في مرحلة من الضعف وتكاد تقتصر على منطقة (كانجابا) ، وتوفي محمد دوغو عام ٨٦٩ هـ فخلفه إبنه مسنا علي) الذي يعـد مؤسس امبراطورية (الصنغاي) ، فقد استطاع الاستيلاء على مدينة (تومبوكتو) عام ٨٧٣ هـ ، وطرد

الطوارق منها ، وحرق أكثر أحيائها ، وقتل الكثير من سكانها •
وفي عام ٨٧٥ هـ• أخضـــع منطقـــة نهر النيجر كلها فاستولى على
مدينة (جني) ، كما سيطر على منطقة (باتنغا) مقر قبائل (الموش)،
ولكنه لم يستطع إخضاع هذه القبائل له تماماً ، وتوسعت مملكته
حتى أصبحت امبراطورية ، وقد حاولت مملكة مالـــي الاستعانة
بالعثمانيين ٨٨٦ هـ ، وطلبت أن تكون تحت حمايتهم •

توفي محمد دوغو عام ٨٩٨ هـ وخلفه ابنه (ابو بكر) ، إلا
أن قواد أبيه قد ثاروا عليه ، وتمكن القائد (محمد بن أبي بكـــر
الطوري) أن يهزمه ، إلا أن أبا بكر توفي وانتقل الحكم من هـــذه
الأسرة (زا) إلى القائد محمد الذي عرف باسم (اسكيا محمد)
عام ٨٩٩ هـ • فبلغت دولة صنغاي أوج ازدهارها إذ نظم الادارة
وجهز الجيش المدرب وكان نظاميا على غير القاعدة لقديمة وفـــي
الوقت نفسه فقد اهتم بالشؤون الاسلامية •

أدى (اسكيا محمد) فريضة الحج عام ٩٠١ هـ ، وعند عودته
من الديار المقدسة اتخذ حركة توسعية ذات مظهر اسلامي واضح
حين اتجه إلى قبائل (الموش) الزنجية الوثنيـــة فأعلن الجهـــاد ،
وطلب من ملوك هذه القبائل الدخول في الاسلام أو دفع الجزية فلما
أبوا حاربهم وانتصر عليهم كما توسع في الغرب فواصل تقدمه على
سواحل المحيط الاطلسي اذ ضم بلاد الماندينغ والفولاني إليه كما
وصل إلى الصحراء في الشمال ، أي أنه ضم منطقة السافانا كلهـــا
إذ وصل في الشرق الى بحـــيرة تشاد بعد أن ضم إليه إمــــارات
الهاوســـا •

وفي عام ٩٣٥ هـ قام أبناؤه عليه فأجبروه على التخلي عن الحكم لابنه (موسى) الذي نفاه إلى جزيرة بعيدة في نهر النيجر ، ولكن موسى قد قتل عام ٩٣٨هـ ، وتولى بعده أخوه (محمدبنكة) واستمر حكمه حتى عام ٩٤٤هـ حيث عزل وتولى بعده أخوه (اسكيا اسماعيل) فحكم عامين ، وأعاده أباه (اسكيا محمد) وكان قد كف بصره ثم مات عام ٩٤٩هـ .

وفي هذه المدة من الفوضى حاولت مملكة مالي النهوض والاستنجاد بالبرتغاليين ، فارسلت البرتغال سفارة لهم برئاسة (بطرس فرناندو) عام ٩٤٠ ــ ٩٤١ هـ فقامت مالي بثورة ضد (الصنغاي) ولكن قمعت بشدة من قبل (محمد بنكة) .

تولى حكم (الصنغاي) (اسكيا اسحق) عام ٩٥٠هـ ، وفي أيامه ساءت العلاقة بين ملوك الصنغاي وملوك المغرب .

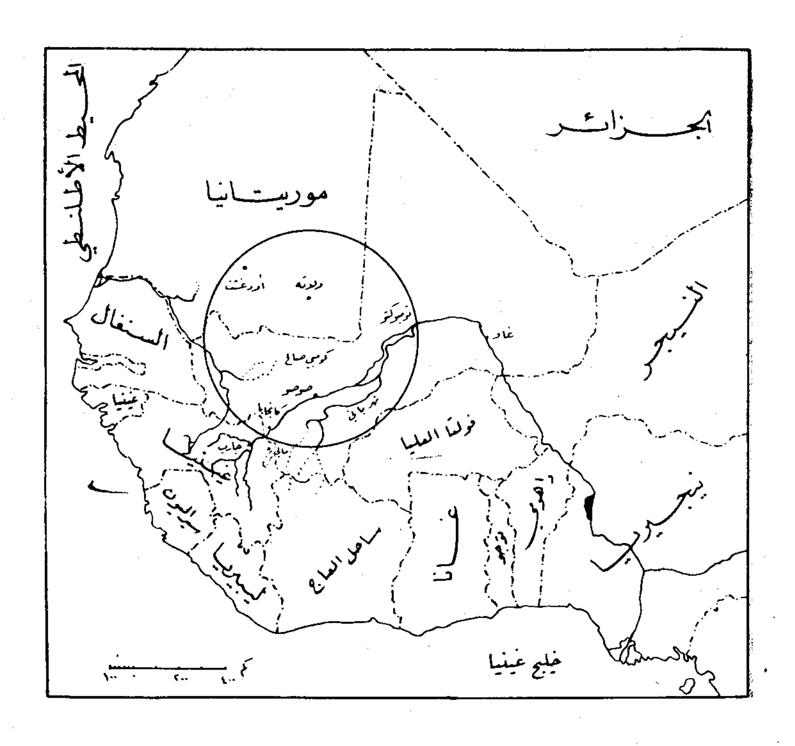
ثم جاء إلى الحكم (اسكيا داود) عام ٩٥٦ هـ ، وفي عهده ثارت مملكة مالي عليه ، فارسل اليها حملة تغلبت عليها ، وزادت العلاقات سوءاً بينه وبين المغرب ، وتوفي عام ٩٩٠ هـ .

جاء الى حكم الصنغاي بعد (اسكيا داود) ابنه (اسكياحاج محمد الثاني) ، ودام حكمه خمس سنوات حدث أثناءها مناوشات بين المغرب وبين دولته . وبعد أن خلعه إخوته عام ٩٩٥ هـ تولى مكانه أخوه (محمد بن اسكيا داود) الذي حكم ثلاث سنوات ، وجاء بعده (اسكيا اسحاق الثاني) الذي تردت العلاقات في أيامه بينه وبين المغرب ، فجاءت حملة مغربية هزمت الصنغاي في معركة

(تندى) واستولت على (غاو) عاصمة امبراطورية الصنغاي •

حصلت مفاوضات بين قائد الحملة المغربية وملك الصنغاي اتهت بوقف الحرب ووضع شروط للصلح ، إلا أن ملك المغرب (منصور السعدي) قد رفض هذه الشروط فاستؤنفت الاعمال الحربية من جديد ، وهزمت الصنغاي مرة ثانية ، فثار الشعب على الملك الذي فر من قاعدة حكمه ، فتولى أمر تسيير البلاد رئيس الديوان (محمد كاغ) الذي لم يلبث أن نصب نفسه امبراطوراً وتسمى باسم (اسكيا) إلا أن الشعب لم يقبل به ، فعينوا ملكا عليهم هو (اسكيا نوح) الذي تولى عام ١٠٠٢هـ ، وبذا أصبح في البلاد ملكان أحدهما يقر بسيادة المغرب ، والآخر لا يعترف بذلك • وحاول (اسكيا نوح) أن يبث روح المقاومة في أبناء البلاد فألف جيشاً قوياً وبدأ بحرب المقاومة وقد استطاع خلال أربع سنوات أن يذيق جيش المغرب والحاميات الموجودة في بلاد الصنغاي الويلات وأن يكبدها الكثير من الأنفس وخاصة أن الامدادات قد توقفت من بلاد المغرب •

أرسل ملك المغرب عدة جيوش الى بلاد الصنغاي مما اضطر (اسكيا نوح) الى الهرب ومغادرة البلاد ، وانتهت المقاومة بوفاته عام ١٠٠٤ هـ ، وتفككت البلاد وآل الحكم فيها الى رجال القبائل وعم الظلم ، وانتشرت المجاعة ، بذا انتهت امبراطورية الصنغاي •



الجزائر
موريتانيا
السنغال
النيجر
نيجيريا
فولتا العليا
ساحل العاج
غانا
توجو
خليج غينيا
تومبكتو
ولاته
غاو

البامبارا

البامبارا : جماعة من الماندينغ كانت تقيم على حوض نهر النيجر الأعلى في وادي نهر (باني) أحد روافد النيجر . وتتبع دولة مالي ما دامت جزءاً منها . . وعندما ضعفت دولة مالي وقامت امبراطورية الصنغاي نجح (البامبارا) في تأسيس إمارة صغيرة حول مدينة (سيغو) على نهر النيجر .

خضعت امارة (سيغو) في بداية أمرها الى (تومبوكتو) التي كان يحكمها باشوات الذين اشتهروا باسم (الأرما) ، وهم مولدون من آباء بربر وأمهات زنجية ، وبدأت امارة (سيغو) تتوسع ، ففي عام ١٠٧١ هـ تخلصت من سيادة (تومبوكتو) ثم فرضت عليها الجزية عام ١٠٨١ هـ ، وامتدت (سيغو) من (كانجابا) في الجنوب الى (تومبوكتو) في الشمال والى الصحراء ، وأصبحت ملجأ للفارين إذ التجأ عليها الشريف علي بن حيدر من المغرب خوفاً من بطش السلطان . كما أنه في العام نفسه استطاع من طرد ملك (مالي) (ما ما مغان كيتا) . ثم حدثت فتن انتقل الحكم إثرها الى أسرة ديارا وذلك عام ١١٦٤ هـ ، وقضى على دولة (سيغو) عام ١٢٧٨ هـ الحاج عمر سلطان التكارنة في (فوتا جالون)

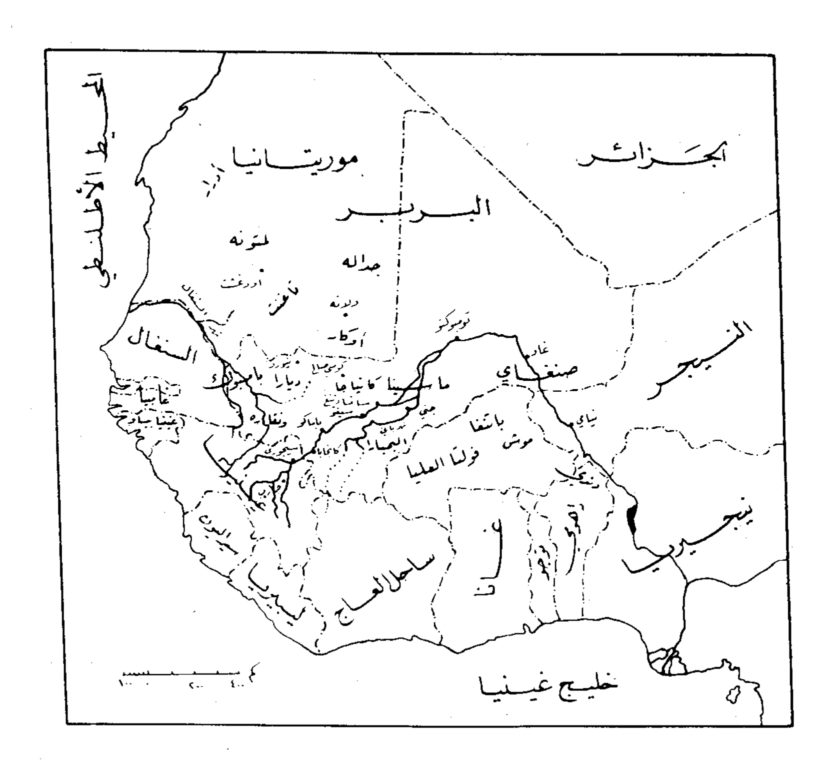
حيث قاوم الفرنسيون توسعه نحو المغرب فاتجه الى الشرق .

وأقام البامبارا إمارة أخرى في غربي (سيغو) بل إن مؤسسي الامارتين كانا أخوين . وكان مركز الامارة الثانية (كاآرتا Kaarta) شمال نهر (باكوي Bakoy) أحد فروع نهر السنغال، وقد رفضوا سيادة إمارة (سيغو) عليهم، وقد وقع خلاف بين هاتين الامارتين وانتهت الحروب بانتصار امارة (سيغو)، وعرف حكام كاآتا بلقب (مساسي Massassi) الذي يقابل كلمة (منسى) في مملكة مالي . ومن أشهر ملوك هذه الامارة (الماسا أبو بكر) الذي وسع إمارته وقد قابل المستعمر (منجو بارك) الذي يسمونه مكتشفاً عام ١٢١١ هـ، وآخر سلاطين هذه الامارة (كانديان) وكان مركز حكمه في (نيورو)، وقد تعرض لغزو الحاج عمر سلطان التكارنة عام ١٢٧٧ هـ .

بعد زوال دولتي البامبارا بقي الماندينغ منقسمين على أنفسهم، وقد ظهر فيهم زعيم قوي عام ١٢٧٧ هـ، أي في الوقت الذي زالت فيه إمارات البامبارا وهذا الزعيم هو ساموري توري، وكان ظهوره في منطقة وسولو، واستطاع أن يبسط نفوذه على جميع قبائل الماندينغ خلال مدة عشرين سنة ١٢٨٧ ـ ١٢٠٧ هـ وأن يوحد صفوفهم إذ كانوا متفرقين جنوبي دولة التكارنة التي يقودها الحاج عمر .

اتخذ ساموري توري لقب إمام، وتصدى لمقاومة الفرنسيين من عام ١٣٠٠ ـ ١٣١٦ هـ، فاحتل الفرنسيون عاصمة (بيساندوغو) عام ١٣٠٩ هـ ثم احتلوا (سيغو) وتومبوكتو عام ١٣١٠ هـ .

هرب ساموري توري إلى أعالي نهر فولتا واستمر في مقاومة الفرنسيين فقبض عليه عام ١٣١٦ هـ في أعالي ساحل العاج ونفوه الى الغابون حيث توفي هناك عام ١٣١٨ هـ .



إلى جانب إمارات البامبارا ظهرت في المنطقة امارات ثانية ذات أهمية منها ، إمارة لقبائل الفولاني في منطقة (ماسينا) على نهر النيجر جنوبي (تومبوكتو) ، وقد وجدت جماعة من الفولاني في هذه البقعة منذ القرن الثامن الهجري ، وظلوا فيها الى القرن الثالث

عشر يقرون لملوك مالي بالسيادة ، ثم خضعوا لباشوات تومبوكتو وأخيراً لملوك (البامبارا) في (سيغو) ، وبدؤوا يدخلون في الاسلام في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري وقاموا بحركة من الجهاد ضد أبناء جنسهم من الوثنيين ، فاستنجد الوثنيون بملوك البامبارا ولكن المسلمين استطاعوا التغلب وهزموا جيش (سيغو) ، وأسسوا مملكة إسلامية عام ١٢٢٥ هـ في (ماسنا) حكمت المنطقة كلها .

وأقام التوكلور إمارة (فوتاجالون) في جنوب الحوض الادنى لنهر السنغال وهم من المسلمين وقد دخلوا في هذا الدين منذ مدة طويلة وأسهموا في حركة المرابطين في منتصف القرن الخامس الهجري . وفي القرن التاسع كونوا أسرة حكمت المنطقة ، وظهر منهم عام ١٢٥٤ هـ الحاج عمر الذي وحد السودان الغربي من (فوتا جالون) الى (تومبوكتو) تحت سلطانه .

وفي عام ١٢٧١ هـ قام الحاج عمر بغزو بلاد (كاآرتا) فدانت له ، ثم حاول مهاجمة إمارة (سيغو) بالتعاون مع ملك (ما سنا) الفولاني إلا أن الأخير رفض ذلك ، فاضطر الحاج عمر الى التوجه نحو الغرب الى منطقة السنغال الأوسط ، وفي الوقت نفسه كان الفرنسيون يبسطون نفوذهم على تلك الجهات فأوقفوا تقدمه ، فعاد الحاج عمر مرة أخرى إلى الشرق ، واحتل امارة (سيغو) عام ١٢٧٨ هـ و (ما سينا) عام ١٢٧٩ هـ ثم (تومبوكتو) عام ١٢٨٠ هـ .

قام (البامبارا) في (سيغو) والفولاني في (ماسينا) بثورة عليه انتهت بمقتله عام ١٢٨١ هـ .

تنافس أبناء الحاج عمر من بعده على السلطة ، ودخلوا في حروب فيما بينهم ، وأساؤوا خلالها إلى السكان ، ونشروا الخراب في معظم المنطقة فكرههم الناس ، وكان آخرهم الأمير أحمد الذي توفي عام ١٣١٦ هـ إثر هزيمة الفرنسيين له أثناء تقدمهم نحو الشرق حيث وجدوا الطريق ممهدة أمامهم لاحتلال البلاد .

الاستعمار

في الوقت الذي كان فيه المسلمون يجوبون معظم أرجاء إفريقية وبخاصة الأقسام الشرقية والشمالية والغربية منها ، وينشرون فيها الدين الاسلامي واللغة العربية كما يضعون المؤلفات الكثيرة عن هذه القارة ، كانت أوروبا في هذا الوقت تجهل كل شيء عن إفريقية اللهم إلا ما عرفته عن طريق المؤلفات العربية .

وعندما اشتد الصراع في بلاد الاندلس بين المسلمين والنصارى ، وعجز الاسبان والبرتغاليون عن اقتحام معاقل المسلمين واخراجهم منها فكروا في الابحار على سواحل القارة الغربية لمعرفة قوة المسلمين في تلك القارة وبخاصة أنها كانت الاحتياطي لمسلمي الاندلس والدعم لهم في الحروب السابقة التي قادها المرابطون والموحدون من بعدهم ، فاذا كان الضعف في إفريقية بادياً على المسلمين دخلوها وأحاطوا بهم ، وإن كان غير ذلك اتخذوا مراكز لهم على السواحل وأفادوا من التجارة وانتظروا حتى ينظروا أمر المسلمين .

وصل بعض البحارة الاوروبيين إلى نهر السنغال عام ٧٤٧ هـ ، وزاروا الرأس الاخضر ، ولكنهم لم يقيموا فيه ، وفي عام ٨٤٨ هـ احتل البرتغاليون جزيرة (ارغين) الصغيرة ، واحتل الهولنديون

جزيرة (غوريه) مقابل الرأس الأخضر ، وظل هؤلاء سادة هـذه المناطـق حتى أواخر القرن التاسـع الهجري إذ بـدأ الفرنسيون يترددون على الشواطىء السنغالية ، وينشئون مراكز الإقامة لهم في بعض أنحائها .

وجد هؤلاء الأوربيون قوة المسلمين في داخل إفريقية فأيقنوا أن دخولهم إليهـا أمر صعب كما أنه من المحتمل أن يقوم هـؤلاء المسلمون بدعم الأندلس ، لهذا كله فكروا بالبقاء على السواحـل وعدم القيام بمغامرات في الداخل .

ضعف أمر المسلمين في الأندلس كثيراً ، وزادت الامدادات الأوربية للإسبان والبرتغال وبذا خرج المسلمون من الأندلس عام ٨٩٨ هـ ، وقام الاسبان والبرتغاليون بمحاولات لمتابعتهم ومحاولة تطويقهم من الجنوب والشرق ، فسار الاسبان نحو الغرب وعرفوا أمريكا ، وسار البرتغاليون نحو الجنوب واستطاعوا الالتفاف حول إفريقية ، ووصـل كلاهما الى الشرق ، وأثريا ثراء كبيراً نتيجـة التجارة والمعرفة الجغرافية وأعمال النهب والسلب التي قاموا بها ، وأصبح لكل منهما امبراطورية واسعة .

ومع هذه القوة وهذا الثراء فقد استطاعـوا السيطرة على أجزاء من العالم الاسلامي الذي كان قد أصابه الضعف وتفككت أمصاره بعضها عن بعض ، كما قامت دول أوربية أخرى مثل فرنسا وانكلترة وهولندة وبلجيكا وروسية تنافس اسبانية والبرتغال لما رأت من قوتهما والافادة من مستعمراتهما وكل منها تحاول أن تحصل

على غنيمة من العالم الاسلامي • وفي الوقت نفسه فقد ضعف أمر المسلمين في غربي إفريقيـــة بل حاولت بعض الامـــارات الاستعانة بالبرتغاليين ــ كما رأينا ــ عند ذلك تحركت القوى الأوربية نحو غربي إفريقية وكأنها انفلتت من عقالها •

كانت المحاولات الأوربية الأولى كجس نبض فسارت باسم الاكتشافات ، وكانت أولى الرحلات الى الداخل موجهة الى حوض نهر النيجر عام ١٢١٠ هـ ، وقد انطلقت من (غامبيا) على طول نهر غامبيا ، وقد استطاع رائد هذه الرحلة (منجو بارك) الوصول الى مدينة (سيغو) على نهر النيجر ، ثم توغل إلى أبعد من ذلك في رحلته الثانية عام ١٢٢٠ هـ • وتعددت بعد ذلك الرحلات وبخاصة الافرنسية منها الى مناطق غربي افريقية ، ولم يكن هؤلاء الرحالة إلا رسل بلادهـــم للتعرف على ثروات البلاد وامكانية استغلالهـــا واستثمارها ، وهكذا لم تكن اهـــذه البعوث التي حملت الصفـــة العالمية إلا بداية لحركة استعمارية واسعة النطاق للقارة الافريقية • ولما تم لهؤلاء الرحالة التعرف على البـــلاد والكشف عن إمكاناتها وثرواتها بدأت مرحلة جديدة من النشاط في المنطقة وهـــي مرحلة الاستيلاء ثم الاستعمار بأسوء صوره وأشكاله •

استطاعت فرنسة التوغل الى غربي إفريقية عن طريق نهري النيجر والسنغال والقضاء على مملكة (الحاج عمر) عام ١٢٨١هـ ، وحكومـــة (ساموري توري) عام ١٣١٦ هـ ــ كما ذكـــرنا ــ وبسطت نفوذها على معظم السودان الغربي وضمت الى قواتهـــا

العسكرية وحدات من القبائل الوثنية مثل البامبارا في مالي كانت خير عون للمستعمرين في حكم البلاد بالسيف والنار • وتبع ذلك عملية استغلال واسعة النطاق في معظم تلك المنطقة من قبل الحكومة الفرنسية ، وفي غيرها من المناطق من قبل الدول الاستعمارية الأخرى ، وبدأت باستغلال الانسان الافريقي ، بل استغلال إنسانيته، فنقل الآلاف منهم الى العالم الجديد (امريكا) وبيعوا فيها رقيقاً لأصحاب المزارع الكبيرة هناك والى الشركات للعمل في المناجم ، وقد أصبحت المراكز الساحلية التي أقيمت على سواحل غربي إفريقية موانىء تساق اليها أفواج الرقيق من كل جهة ، وأدوات الموت موجهة اليهم ، وربما كان ذكر الحوادث التي يقادفيها الزنوج نحو السفن وعمليات الاختطاف للاطفال والشباب والفتيات تحز في النفس لما فيها من مآسٍ وأحزان ، ونحرص على أن نجنب القارىء منها •

استمرت هذه المأساة مدة من الزمن ، حتى اذا انتهى عهد الرقيق ، وقامت الدول الاستعمارية نفسها تحرمه ـ لا انسانية وتقى ـ انما تخمة وخوفا على اقتصادها من منافسة البضائع الرخيصة التي يعمل في انتاجها الزنوج ، عند ذلك بدأت مرحلة جديدة من الاستعمار للقارة كلها تميزت بوضع خطة لسياسة جديدة تكفل للدول الاستعمارية السيطرة على البلاد وعلى مواردها المختلفة واتبعت في سبيل ذلك مختلف الوسائل اللانسانية من تمييز عنصري على اساس اللون والجنس ، ومن نظام للسخرة

يفرض على الافريقي العمل في فراغ المستعمرين او في المناجم أو في مجالات الاستغلال الاخرى .

وفي هذه الحالة أهملت في البلاد كل الخدمات الانسانية والاجتماعية التي يمكن ان تقدم الابناء افريقية على حين كانت تقدم ارقى هذه الخدمات للمستعمرين ، فأخذت الامراض تفتك بالافريقيين فتكاذريعا وتقضي على المئات منهم اضافة الى ما كانت تفعله المجاعات ونقص المواد الغذائية الضرورية .

كما اتبعت الدول الاستعمارية سياسة أخرى وهي محاولة ابقاء الشعب في جهل تام حتى يبقى لا يدري بالذي حوله ـ وهذا يعني بالنسبة الى الدول الاستعمارية محاربة كل ما من شأنه ان يرفع الجهل عن الامة المنكوبة بهم ، ويلفت نظرها الى وجوب التحرر من نير الاستعمار ، لذا بدأت اول ما بدأت به وبخاصة في البلدان الاسلامية بمحاربة الاسلام ، وهذا ماحدث فعلا في بلاد مالي من قبل الحكومة الفرنسية . وفي الوقت نفسه فقد فتحت الدول الاستعمارية الباب على مصراعيه لدخول الارساليات التبشيرية المدعومة بامكانات مادية ضخمة من الدول الاستعمارية كلها ومن اتحاد الكنائس العالمي ، وقد فتحت هذه الارساليات المدارس وأقامت المشافي ، ووضعتها تحت تصرف من يعتنق النصرانية ... فكان امام الافريقي اما ان يرضى بالبقاء في ربقة الجهل المرض متحديا السياسة الاستعمارية والارساليات معا او يرضخ لها ويقبل على هذه المدارس والمشافي وغالبا ما كان يفضل الحالة الاولى

لهذا فقد تعلم وتدرب من أقبل عليها ، وتسلم امور البلاد بعد خروج الاستعمار ولكن بتأييده ايضا اما الثاني وهو الافريقي المسلم فقد بقي تبعا ، وفي حالة من الجهل والفقر والمرض •

ان اي تجمع يجب ان يتبع ويخضع سياسيا واقتصاديا وثقافيا لسيادة فرنسا وهذا ما كان على الافريقيين ان يعرفوه ، ودارت تجمعاتهم السياسية حول هذه الفكرة وعملت بصورة أو بأخرى لنقل او تعديل علاقة التبعية والسيادة التي بين الافريقيين والفرنسيين ، وكان من الصعب ان يستطيع اي تجمع افريقي التمتع بالبقاء في ظل القانون ـ الذي وضعته الدولة الاستعمارية ـ دون ان يتعرض للحل او الالغاء فيما لو طلب انسحاب فرنسة المباشر من البلاد • لذلك عملت الاحزاب والحركات الوطنية الافريقية في معظمها من الناحية العملية بين فكرتين متضادتين :

الاولى : وكانت تطالب بتصفية الاستعمار •

الثانية : وكانت تقبل بالامر الواقع مع التعديل التدريجي والذي ترضى به الادارة الفرنسية ، ومن الاحزاب التي قامت في البلاد :

١ ـ حزب الاتحاد السوداني ، وكان يدعو لاقامة حكم شبيه بحكم الحاج عمر •

٢ ـ حزب التجمع الديمقراطي الافريقي وكان في غربي افريقية كله ، وكان لهذا الحزب فروع في مختلف المستعمرات الفرنسية في غربي افريقية •

وقد تعرضت افريقية الفرنسية الى تغييرات عديـــدة في الحدود والاقسام السياسية ، وقد ظلت كل مستعمرة خاضعـــة لحاكم فرنسي عام يتلقى اوامره مباشرة مـــن وزير المستعمرات الفرنسي ولكن لم تلبث أن ظهرت مفاسد هذا النظام ، لذلـك فكرت فرنسة في تجميع بعض المستعمرات في وحـدات اتحادية ، ومن هذه الوحدات كانت افريقية الغربية الفرنسية التي تضـــم موريتانيا ـ السنغال ـ غينيا ـ ساحل العاج ـ فولتا العليـا ـ مالي ـ النيجر ـ داهومي •

وفي عام ١٣٢٢ هـ شكلت فرنسا اقليما في منطقة ماليوسمي (السنغال العليا والنيجر) ثـم بدل هـذا الاسم عـام ١٣٣٩ هـ وأصبح السودان الفرنسي •

نص دستور فرنسة عام ١٣٦٥ هـ على تكوين مجلس عـام في كل اتحاد ، وينتخب اعضاؤه من بين الجمعيات الاقليميـــة في وحدات الاتحاد ، وقد كانت قوانين الانتخاب معقدة ، وجـرت الانتخابات الاولى ، ونجح الوطنيون الافريقيون •

وعدل الدستور عـام ١٣٧٦ هـ واصبح يقوم بجانب المجلس الوطني الاقليمي ، مجلس تنفيذي يمثل السلطة ويرأس هـــذا المجلس التنفيذي حاكم الاقليم الذي يعين اقسما من المجلس بينما يتم أخذ القسم الثاني بالانتخاب •

وفي عام ١٣٧٧ هـ عقد مؤتمر في باماكو يضم أقاليم افريقية الغربية،وكان من مقرراته ضرورة اعتراف فرنسة بحق تقرير المصير •

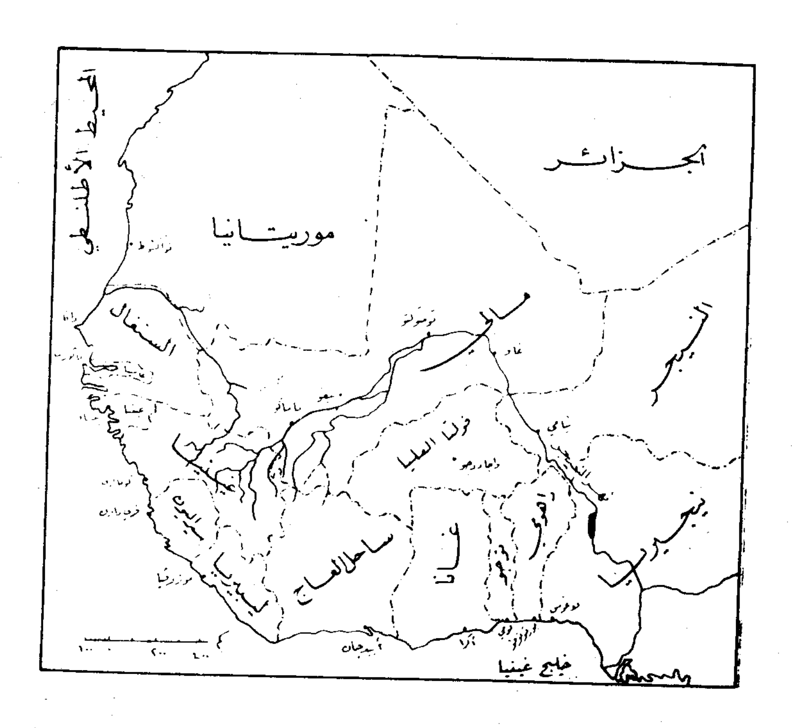
وخشي الفرنسيون اندلاع الحرب ـ كما حدث في الجزائر التي كانت ثورتها مشتعلة ـ فأصدر رئيس وزراء فرنسة غي موليه قانون الاصلاح الاداري ، وينص على اجراء انتخابات في كل اقليم لتكوين جمعيات عامة تتولى تشكيل الوزارة .

وفي عام ١٣٧٨ هـ جاء ديغول الى حكم فرنسة ، وفكر في الحفاظ على مستعمرات فرنسة فيما وراء البحار ، فعرض دستوره وأعطى حرية لكل اقليم ان يصوت على الدستور بـ « نعم » أو « لا » وينص هذا الدستور على ان الاقليم الذي يقبل الدستور يصبح عضوا في مجموعة الشعوب الفرنسية ، ويشكل حكومة محلية ، ويتمتع بالاستقلال الداخلي ، على ان تكون السلطة المركزية لفرنسة في الدفاع والاقتصاد والشؤون الخارجية كما يمكن ان يعقد اتحاد بين اقليمين أو عضوين في المجموعة الفرنسية ، أما الاقاليم التي لا توافق على الدستور فتحصل على الاستقلال التام ، وعندها تقطع فرنسة عنه مباشرة كل معونة فنية كانت أو مادية أو ادارية ، ولكن صحب هذا الاستفتاء أنواع من التهديدات والوعيد ، حتى ان القسم الكبير من السكان قد قاطع الاستفتاء ولهذا كانت النتيجة قبول دستور ديغول في أغلب الاقاليم .

وتكونت جمهورية مالي ذات الاستقلال الذاتي ضمن المجموعة الفرنسية ، وألغيت وظيفة الحاكم العام ، وتشكلت وزارة « موديبو كيتا » .

وفي عام ١٣٧٩ تم اتحاد بين السودان الفرنسي والسنغال

اطلق عليه اسم مالي رمزا للمملكة التي ازدهرت في القرنين السابع والثامن الهجريين ـ كما مر معنا ـ واتنتخب موديبو كيتا رئيسا لهذا الاتحاد ، وحصل هذا الاتحاد على الاستقلال ضمن الجماعة الفرنسية عام ١٣٨٠ هـ . ولكن لم يلبث ان انحل هـذا الاتحاد بعد ثلاثة اشهر من قيامه تسبب خلافات في السياسة ، وأعلن السودان نفسه جمهورية مستقلة استقلالا تاما مع الاحتفاظ باسم مالي ، واتنتخب (موديبو كيتا) رئيسا للجمهورية بالاجماع



عـام ١٣٨١ هـ • وانتقد المعاهدة المعقودة مـع فرنسة ، وتكللت المفاوضات التي جرت مع فرنسة بالنجاح بشأن انسحاب القواعد الفرنسية من مالـي • وينتمي (موديبوكيتا) الـى أسرة كيتـا التي اسست امبراطورية مالي أيام ماري جاطة بعـد انقضى الصوصو على مملكة مالي واسرة كيتا بالـذات لهذا كان للانتماء أثر في شهرته وانتخابه •

وفي عام ١٣٨٨ هـ انتهت مدة رئاسة مدديبو كيتا ونحي عن الحكم بعـد حركة عسكرية قادهـا (موسى تراوري) وهـو ملازم اول وينتمي الى اسراة تراوري التي كانت تحكم مملكـة مالي قبل كيتا ، وتولى موسى تراوري رئاسة الجمهورية ، وتـم تشكيـل لجنة عسكرية من اربعة عشر عضوا •

مَعَ السّكان

السّـــكان

يقدر عدد سكان مالي عام ١٣٩٧ هـ بخمسة ملايين ونصف المليون ، وبذا تكون الكثافة خمسة اشخاص في الكيلو المتر المربع الواحد . ويبلغ معدل الزيادة السنوية : ١،٩٪ على ان الغالبية العظمى من السكان تتركز في الجزء الجنوبي من البلاد وبخاصة حول نهر النيجر اذ ان الاجزاء الشمالية تشغلها الصحراء ، وأهم المجموعات الجنسية هي :

١ ـ الماندينغ :وتعني هذه الكلمة مجموعة الشعوب التي تتكلم لغة الماندي ، ولهذه المجموعة اسماء كثيرة تدل على المجموعة نفسها ، اذ أن كل شعب يطلق عليها اسما خاصا حتى كثرت هذه الأسماء وسببت إشكالات كثيرة فقد وهم بعضهم ، وظن ان كل اسم يدل على شعب خاص ، واخطأ بعضهم الاخر للتشابه .

فالعرب يسمونهم «مليل» .
والفولاني يعرفونهم «مالي» .
والبربر يطلقون عليهم اسم «مليت» .
والهاوسا يدعونهم «وانقارة» ، ولعل هذا الاسم يطلق على

فرعين وهما « السوننكي » و « الديولا » •

والبامبارا : احدى جماعات هذا الشعب يسمونهم «مالي» •

والتكرور : يلقبونهم « المالنكي » •

وقبائل نهر غامبيا : يدعونهم « ماندينغ » •

وهم يطلقون على أنفسهم اسم « الماندي » أي باسم اللغة التي يتكلمونها • وتقدر نسبة هذا الشعب في البلاد بـ ٤٠٪ من مجموع السكان ، ويدعي أن أصله من الشرق،وهم سودانيون بل أفضل من يمثل الجنس السوداني ، وهم عادة تقاس بالنسبة إليهم الفوارق مع القبائل السودانية الزنجية التي تعيش على سواحل خليج « غانا » ، لذا يمكن أن نعدهم أقرب الناس جميعا للجنس الزنجي الذي لم يختلط بغيره ، على الرغم من أنهم اختلطوا مع البربر الحاميين في الشمال •

وأهم الصفات التي يمتاز بها هذا الشعب ، القامة الطويلة إذ أن المعدل الوسطي لطول الفرد هو ١٧٢ سم ، والبشرة السوداء الرمادية ، والرأس الضيق ، والشعر الاجعد ، والجبهة البارزة ، والأنف المفلطح ، والشفاه الغليظة المقلوبة مع قلة في شعر الوجه والرأس •

ويقول عنهم الحسن الوزان « إنهم أعظم أجناس إفريقية رقيا ومدنية ، وأشدهم ذكاء وأجدرهم بالاحترام » • ويمتدح الرحالة الحاليون صناعتهم ومهارتهم وأمانتهم •

أما (ريد) فقد وصفهم بقوله « شعب طويل القامة ، حسن

المنظر ، مشرق اللون ، مسلمون متدينون ، يملكون الجياد وقطعان الغنم الكثيرة ولكنهم أيضا يزرعون القطن والفول السوداني وأنواعا مختلفة من الغلال » كما يقول « وقد سررت كثيرا بلطفهم وسجاياهم الكريمة ، ومنظر نسائهم الجاد المحتشم ونظافة فقراهم وهدوئها » .

وهم عدة فروع أشهرها :

آ ـ الماندنكا أو المالنكا : وهو الفرع الرئيسي .

ب ـ السونكي أو الساراكولية : وهم من الفلاحين في المناطق الغربية .

ج ـ الديولا أو الجولا : ويعيشون في معظم مناطق مالي ويشتغلون بالتجارة .

د ـ البوزو : ويقومون بصيد السمك .

وهذه الفروع كلها مسلمة .

هـ ـ البامبارا : وهم وثنيون وتشتهر قبائل السوموتو منهم بصيد السمك .

ومن الفروع الاخرى الكاسونكا والجالونك وغيرها ...

٢ ـ الصنغاي : وهم زنوج يعيشون في محاذاة ثنية النيجر من (موبتي) و (تومبوكتو) وإلى (غاو) ، وتقدر نسبتهم بـ ١٢٪ من سكان البلاد ، ويعملون بصيد السمك .

٣ ـ الفولاني : ولهم أسماء كثيرة أيضا منها « الفولا » و « فيللاتا » و « البهل » وغيرها وقد جاءت هذه الشعوب من الشمال ، وتسربت بين شعوب « الماقدينغ » واستطاعت أن تشكل

أسرا حاكمة في كثير من المناطق سواء أكان ذلك في بلاد مالي مثل « غانه » القديمة ، وامبراطورية « الصوصو » أم في بلاد السنغال •

وتنتشر هذه الشعوب في مناطق كثيرة من البلاد ، ويقومون بتربية الحيوان ، وغالبيتهم من المسلمين ، وتبلغ نسبتهم ١٠٪ من السكـان •

٤ ـ **البرنو** : وهم من سكان اقليم « برنو » شمال شرقي نيجيرية ، وفي غربي بحيرة تشاد ، ويتألفون من عدة أجناس مختلفة أهمها « الكنوري » و « الكرى » و « الكرنبه » و « المنكه » و « المندره » أو « الوندله » ثم الاعراب ••• وقد اعتنقت هـذه الأجناس الديانة الاسلامية في المدة الاولى التي انتشر فيها الاسلام في القارة الافريقية بل ونشروها بين القبائل المجاورة الوثنية •

ويتكلـم « البرنو » عـدة لغـات أوسعهـا انتشارا لغـة « الكنوري » •

٥ ـ **التوكلور** : وهذا الشعب ينتشر في بلاد السنغال ، وقـد انتقلت جماعات منه نحو مالي ، وتعمل في الزراعة ، كما أن بعضها يعمل في الصناعة من نجارة وحـدادة وجلود وأوان فخاريـة ، وهم من المسلمين •

٦ ـ **الموش** : وتعيش هذه القبائل في فولتا العليا ، وأكثرها لاتزال وثنية ، وتعمل في الزراعـة وبعض الصناعـات ، وانتقلت جماعات منها إلى مالي •

٧ ـ **السينوفو** : وتنتشر هذه القبائل في أعالي النيجر وأعالي نهر فولتا في ساحل العاج ، وتشكل ٥ر٣٪ من سكان مـالي •

٨ ـ **الماركاكا** : وتبلغ نسبتهم ٦.٪ من السكـان •

٩ ـ **الدوجون** : وتقدر نسبة هذه القبائل بـ ٣,٥٪ من سكان مـالي •

١٠ ـ **الطوارق** : ويعرفون بالملثمين لوضعهم اللثـام على وجوههم ، ويسكن هؤلاء الارض الممتدة من (فزان) في ليبيـا إلى شمال نيجيرية ، ومن (غدامس) في ليبية عند الحدود الليبية ـ التونسية ـ الجزائرية إلـى (توات) في الجزائر جنوبي مـدار السرطان إلى غربي (تومبوكتو) في مالي ، وهم عدة مجموعات من العشائر يضاف اسم المكان الذي تعيش فيه المجموعة إلى كلمـة (كل) أي (أهل) أو (قوم) فيقال : (الهقار) للـذين يقيمون في منطقة (الهقار) في جنوبي الجزائر و (كـل ادرار) للـذين يسكنون في منطقة (ادرار) ، و (كل انتصار) للذين يقطنون حول (تومبوكتو) ، ومع ذلك يشكل الطوارق جماعتين رئيسيتين :

١ ـ المجموعة الشمالية ويعيشون في الصحراء ، ويربـون الاغنام والجمـال •

٢ ـ المجموعـة الجنوبيـة ويعيشون في الهضـاب وأرض السافانا ويربون الابقار •

والطوارق طوال القامـة (١٧٥ سم) المعـدل الوسطي ، وأجسامهم قوية ، وعظام وجوههـم بارزة ، والبشرة أقرب إلـى الصفرة مشربة بحمرة ، وعيونهم سوداء ، وشعورهم سوداء متموجة وطويلة ، وكلهم من المسلمين ، وقد لعبوا دورا كبيرا في نشر الاسلام في منطقة السودان •

١١ ـ العرب : وهناك جماعات من العرب الرحل يعيشون في شمالي (تومبوكتو) ولكن نسبتهم قليلة .

يشكل المسلمون ٩٣٪ من سكان البلاد ، وهم معظم القبائل .

ويشكل الوثنيون ٦٪ من سكان مالي ، ومعظمهم من قبائل البامبارا التي هي من الماندينغ ومن قبائل الموش التـي تنتشر في فولتا العليـا .

ويشكل النصارى ١٪ من السكان وهم الذين استطاع أن يؤثر عليهم المستعمرون والارساليات التبشيرية ، نتيجة المصالـح الشخصية وتقديم الخدمات .

اللغة :

لكل شعب لغته الخاصة يتكلم بها أفراده الذين ينتمون إليه، وأهم هذه اللغات .

الماندي : ويتكلم بها فروع الماندينغ جميعهم من سونتكي وديولا وبامبارا و .. وتعد أكبر لغـة وطنية في مالي بصفـة أن الماندينغ يشكلون أكثرية السكان .

التوكلورية : ويتحدث بهـا شعب التوكلـور وشعب الفـولاني .

الصنغانية : وينطق بها الصنغاي .

البربرية : وتسود لدى الطوارق .

العربية : ويتكلم بها المغاربة ، كما أنها لغة المسلمين لذلك تسود في كثير من المناطق التي يكثر فيهـا المثقفون ، وتـدرس في

المدارس الاسلامية كلغة ثانية ، بل ان بعض المدارس تقوم على تعليمها .

الفرنسية : وهي اللغة الرسمية في البلاد ، وقد فرضت بعد دخول الفرنسيين البلاد .

المدن :

باماكو : هي العاصمة ، وتقع على نهر النيجر ، في الجنوب الغربي من البلاد ، ولاتبعد كثيرا عن حدود غينيا ، وتتصل بخط حديدي مع (داكار) عاصمة السنغال على ساحل المحيط الاطلسي والتي تعد ميناء البلاد حيث ان مالي لاسواحل لها . ويبلغ عدد سكانها مائتي ألف نسمة . وقد استقر فيها أحد أمراء مملكة مالي القديمة في بداية القرن الثاني عشر الهجري فأخذت شهرتها تزداد من ذلك الوقت ، وتعد اليوم أكبر مركز صناعي في البلاد .

كايس : ويزيد عدد سكانها على الخمسين ألفا ، وتقع على نهر السنغال ، غير بعيد من حدود السنغال ، وتقع على الخط الحديدي الذي يصل بين باماكو وداكار .

سيغو : وتقع على نهر النيجر ، ويقرب سكانها من الخمسين ألفا . وكانت مركز إحدى إمارات البامبارا في القرن الحادي عشر الهجري ، وهي في منطقة زراعية .

سيكاسو : وتقع في الجنوب الغربي ، على نهر (بانيغينغ) أحد روافد نهر (باني) أكبر روافد نهر النيجر .

موبتي : وتقع عند التقاء نهر النيجر برافده نهر (باني) ، وهي في منطقة زراعية .

غــاو : عاصمة الصنغاي ، وتقع في ثنية نهر النيجر بعد أن يبدأ بالانحدار نحو الجنوب الشرقي .

جني : مدينة على مرحلة من الضفة اليسرى لنهر (باني) رافد النيجر ، تقوم على هضبة صخرية وسط سهل فسيح تغطيــه المياه في الفصل المطير فتصبح خلال ثلاثة أشهر (تموز ــ آب ــ أيلول) أشبه ماتكون بالجزيرة حيث تفيض مياه النيجر وبانــي ويختلط بعضها مع بعض ، ويفصل هذه المدينة عما جاورها مــن البلدان والقرى نطاق من المستنقعات في فصل الصيف مكن الاهالي في كثير من الاحيان من صد غارات المهاجمين .

لايزيد عدد سكان هذه المدينة على عشرة آلاف أغلبهم مــن (البوزو) و (البامبارا) و (الفولاني) واللغة سائدة فيها الغــة (البوزو) ، وتستعمل الغة (الصنغاي) في التجارة على الرغم مــن أن كثيرا من الاهالي يجيدونها .

وهي سوق من أسواق المسلمين يجتمع فيها تجــار الملــح والذهب في القديم ، كما غدت سوقا لتجارة الرقيق ، وكانت تنافس مدينة (تومبوكتو) في الجانب الفقهي إذ كانت مثلها مركزا ثقافيا كبيرا للدراسات الاسلامية ، واحتفظت بهذا المركز مدة بعد احتلال الفرنسيين للبلاد ومحاولة تحطيم المراكز الاسلامية فضعف مركزها واقتصر التعليم الديني فيها على قراءة القرآن .

ويبدو أن تأسيس هذه المدينة يعود إلى القرن الثالث الهجري بعد أن أغار (السنونو) من منطقة (ماسينا) عليها ، ولكن الغزاة اختلطوا مع المغلوبين من (البوزو) ، واندمجوا معهم ، فضاقت البلدة القديمة (جينو) على السكـــان ، فانتقل (السنونو) إلى هذا المكان وأقاموا مدينتهم (جني) وإلى الشمال قليلا من مدينة (البوزو) . وكان (السنونو) وثنيين ولكنهم بدؤوا يدخلون في دين الله على حين بقي رؤساؤهم على وثنيتهم حتى القرن السادس الهجري حيث أسلم أحدهم ، فهـــدم قصره وشيد مكـــانه مسجدا لاتزال آثاره ماثلة الى الآن .

حكم (الصنغاي) (جني) من عـــام ٨٨٥ هـ فساد الأمـــن وتوسعت التجارة فوصلت إلى (تومبوكتو) و (غاو) ، وبعـــد (الصنغاي) جاء حكـــم عرب الشمال فـــدخلت جيوش مراكش (جني) عام ١٠٠٥ هـ ، وكان هذا الحكم سيئا فهجر كثير مـــن السكان ديارهم ، وفي الـــوقت نفسه بـــدأت هجمات (البامبارا) الذين استولوا على المنطقة باستثناء المدينة . إلا أن الفولاني دخلوا (جني) عام ١٢٢٥ هـ ، ودخـــل الاهالي طوعـــا (لأحمدو شيخو المرابطي) .

ثار العرب الموجودون فيها على الفولاني ،وقاموا بعمليات ذبح للذين استقروا في المدينة من الفولانيين ، فاضطر (أحمدو شيخو) إلى حصار المدينة ، وتم له فتحها ، فنفى العرب منها وأعطى أملاكهم للفولانيـــين .

استولى (الحاج عمر) على المدينة عام ١٢٨٠ هـ ، ثم جاء الفرنسيون عام ١٣١١ هـ بقيادة الكولونيل (أرشيفار) .

تومبوكتو : تأسست عام ٤٩٤ هـ على ضفة نهر النيجر ، وأصبح لها شأن عظيم على أنها مركز إسلامي كبير ، توافد إليه طلاب العلم من افريقية الغربية كلها .

هاجرت أول أسرة حكمت (تومبوكو) من مالي عام ٧٣٧ هـ وظلت تحكمها مائة عام . ثم حكمها الطوارق أربعين سنة ، ثم صنغاي من ٨٧٣ ـ ٨٩٨ هـ ، ثم مراكش ٨٩٩ ـ ٩٧٨ هـ ، ثم استردها الطوارق السودانيون عام ١٢٠٧ هـ . ثم الفولانيون عام ١٢٤٣ هـ . ثم جاء الفرنسيون عام ١٣٢٠ هـ .

وفي هذه المدينة الكثير من الآثار الاسلامية .

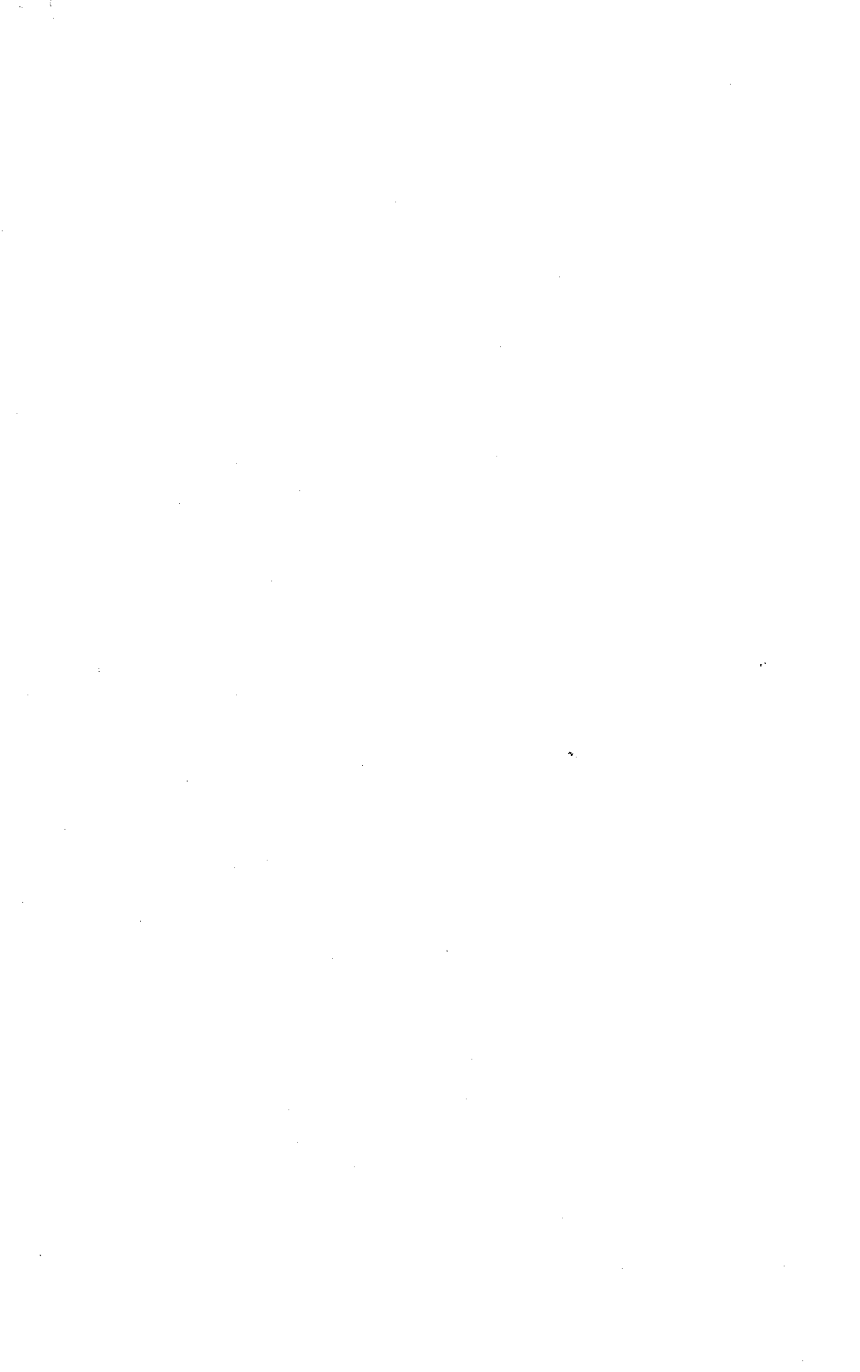
التقسيمات الادارية :

تقسم دولة مالي إلى ست أقاليم هي : كايس ـ باماكو ـ سيغو ـ سيكاسو ـ موبتي ـ غاو .

ويقسم كل إقليم إلى عدد من الوحدات الادارية يبلغ مجموعها ٤٢ وحدة .



مَع النشاط الاقتصادي



تعتمد مالي في اقتصادها على الزراعة وإن كانت تعاني مشكلات كثيرة منها الجفاف الذي يحل بها ، ومنها ايجاد السوق لبيع الفائض من المواد الغذائية التي كانت تصدر إلى السنغال ومنها المواصلات لنقل البضائع حيث إنها دولة داخلية وكل اتصال مع العالم الخارجي يجب أن يتم عبر أراضي جارة من جاراتها ، ومنها الحاجة إلى رؤوس أموال لإقامة المشروعات المختلفة والنهوض بالاقتصاد •

الزراعة : إن أخصب الاراضي الزراعية تتركز حول نهري النيجر والسنغال وبخاصة حول باماكو وتومبوكتو وكايس • أما الاراضي الزراعية الاخرى والمروية بمياه الآبار وطرق الري البدائية البسيطة ، إلى جانب الامطار فموزعة في مناطق متفرقة من البلاد حيث تتوفر الامطار الفصلية ، وتتعرض الاراضي التي تعتمد على المطر إلى أخطار الجفاف والجراد ، كما أن الاعتماد على الطرق البدائية في استغلال الارض يؤدي إلى إفقاد التربة خصوبتها بسرعة إذ تزرع الارض بعد حرق الاعشاب والاشجار وما إن تفقد الارض خصوبتها حتى يهجرها زارعوها وينتقلوا إلى أراض جديدة دون محاولة لاستخدام الدورات الزراعية أو استخدام الاسمدة للتعويض عما تفقده التربة خلال الزراعة المستمرة •

وكثير من أراضي مالي صحراوية جافة أو فقيرة عليها طبقات

من اللاتريت الحديدية تنمو عليها أعشاب فقيرة .

وإلى جانب ذلك تقوم في مشروعات حديثة للتنمية الزراعية منها سد (سانسادنيغ) عند بلدة (سيغو) لري المناطق الواقعة بين (سيغو) و (امويتي) إلى الشمال من مجرى نهر النيجر والتي تقدر مساحتها بحوالي ١٢٠ ألف فدان ، وينتظر توسعة المساحة المزروعة إلى عشرة ملايين فدان وأهم الحاصلات الزراعية :

الأرز : وهو المحصول الرئيسي للاستهلاك المحلي ، ويزرع في السهول المنتشرة على طول مجرى نهر النيجر ، ويبلغ معدل الانتاج السنوي حوالي ١٦٥ر٠٠٠ طن .

الفول السوداني : وهو المحصول الرئيسي للتصدير ، ويبلغ معدل الانتاج السنوي حوالي ١١٠ر٠٠٠ طن .

الدخن : ويزرع بشكل خاص في المناطق التي حول مدينة (سيغو) و (باندبا غارا) .

القطن : وانتاجه في ازدياد مستمر ، ويبلغ معدل الانتاج السنوي حوالي ١٥ر٠٠٠ طن . وإلى جانب هذه المحصولات الرئيسية نجد زراعة السمسم وقصب السكر والذرة الرفيعة إلا أن الانتاج لايغطي حاجة الاستهلاك المحلي عدا الذرة .

كما توجد أشجار الصمغ وأشجار (السبي) البرية التي يستخرج من جوزاتها مادة دهنية تستعمل لزيت الطهي وفي صناعة الصابون .

وقد أنشىء عام ١٣٥١ هـ مكتب للتخطيط في سبيل تحسين

اتتاج القطن والارز عن طريق مشروعات زراعية لزيادة مساحة الاراضي المزروعة أو لتأمين معامل للزيت ومصانع لحلج القطن وصناعة الصابون • كما أقيمت مدارس زراعية وعيادات بيطرية ومستودعات •

الثروة الحيوانية : تملك مالي ثروة حيوانية تضم مختلف أنواع الحيوانات فالابقار ترعى في السافانا والاغنام ترعى في هامش الصحراء ، والماعز يربى في السفوح الجبلية ، ويقدر عدد الثروة الحيوانية كما يلي :

الأبقار ٥٫٠٠٠٫٠٠٠ رأس •

الأغنام ٣٫٤٠٠٫٠٠٠ رأس •

الماعز ٧٫٠٠٠٫٠٠٠ رأس •

وتنتج كميات كبيرة من الألبان ومشتقاتها • وتصدر عددا من الحيوانات ، وكميات من اللحوم ، وعددا من الجلود يضاف إلى جلود الحيوانات المذكورة جلود الضب والتمساح والافاعي•

صيد السمك : ينشط الصيد في نهري النيجر والسنغال ، وتعد (سيغو) و (موبتي) مركزين هامين لصيد السمك ، ويقدر الانتاج السنوي بحوالي ٩٥ ألف طن ، ويصدر نصف هذه الكمية الى البلدان المجاورة •

الثروة المعدنية : تحوي أرض مالي كثيراً من الثروات المعدنية ، لكن يستغل منها الحديد والذهب والملح فقط ، وإضافة الى ذلك يوجد البوكسيت والألماس ، فالذهب تنتج منه

كميات قليلة . ويكفي الحديد ما يحتاجه السكان لصناعة أدواتهم الزراعية • أما الملح فتقوم الجمال بنقله من مدينة الملح الشهيرة (تاودني) الواقعة على بعد ٧٠٠ كم الى الشمال من مدينة (تومبوكتو) ، وينقل الملح عادة على شكل ألواح يزن اللوح (٣٠ ـ ٤٠) كيلو غراماً •

الطاقة : تقوم في مدينة (كايس) محطة لتوليد الطاقة الكهربائية تعمل على الماء ، وهناك محطات أخرى تعمل على النفط في (باماكو) و (غاو) و (سيغو) وغيرها •••

الصناعة : على الرغم من تقدم الصناعة إلا أن معظمها لا يزال بسيطاً يعتمد على المواد الأولية المحلية من زراعية وحيوانية مثل زيت الفول السوداني وزيت جوز السبي والحلويات والجلود والصابون والأحذية والاسمنت •

وأغلب الصناعات إنما هي محلية تقليدية وأكثرها يدوية بسيطة تعمل على سد حاجات السكان الضرورية •

التجارة : تصدر مالي الفول السوداني ـ زيت الفول السوداني ـ الحيوانات ـ الجلود ـ الأرز ـ الملح ـ القطن • ومعظم الصادرات تتجه نحو البلدان المجاورة •

والميزان التجاري خاسر ، حيث تعادل الواردات ضعف الصادرات •

والوحدة النقدية في مالي هي « الفرنك الجديد » •

المراجع

الاسلام والمسلمون في غرب إفريقية : عبد الرحمن زكي

الاعــلام : خير الدين الزركلي

إفريقية ـ الارض والناس : محمد عبد الفتاح ابراهيم

اقتصاديات العالم الاسلامي : محمود شاكر

الدعوة إلى الاسلام : توماس.و. أرنولد ـ ترجمة حسن ابراهيم حسن

التبشير والاستعمار : عمر فروخ ـ مصطفى الخالدي

الكشوف الجغرافية : محمود شاكر

امبراطورية غانة : ابراهيم علي طرخان

انتشار الاسلام في افريقية : حسن ابراهيم حسن

تقويم البلدان الاسلامية : اصدار مؤتمر العالم الاسلامي ـ كراتشي

تقويم العالم الاسلامي : اصدار معهد الدراسات الاسلامية ـ القاهرة

الجغرافية السياسية لافريقية : فيليب رفلة

حاضر العالم الاسلامي : لوثروب ستودارد ـ ترجمة عجاج نويهض ـ تعليق شكيب ارسلان

قادة فتح المغرب : محمود شيت خطاب

معجم البلدان : ياقوت الحموي

مواطن الشعوب الاسلامية (سلسلة كتب) : محمود شاكر

الفهرس

مواطن الشعوب الإسلامية

صدر منها :

أ ـ في آسيا

١ ـ تركستان الغربية
٢ ـ تركستان الشرقية
٣ ـ قفقاسيا
٤ ـ باكستان
٥ ـ اندونيسيا
٦ ـ اتحاد ماليزيا
٧ ـ فطـاني
٨ ـ المسلمون في قبرص
٩ ـ المسلمون في الفيلبين
١٠ ـ جزر المالديف
١١ ـ أفغانستان
١٢ ـ تركيـة
١٣ ـ ايران
١٤ ـ شبه جزيرة العرب
  ١ ـ عسير
  ٢ ـ نجـد
  ٣ ـ الحجاز

ب ـ في إفريقية

١ ـ غينيا
٢ ـ نيجيريا
٣ ـ الصومال
٤ ـ موريتانيا
٥ ـ ارتيرية والحبشة
٦ ـ تشاد
٧ ـ تانزانيـا
٨ ـ السنغال
٩ ـ اوغندة
١٠ ـ ليبيـا
١١ ـ السودان
١٢ ـ جزائر القمر
١٣ ـ المسلمون في بوروندي
١٤ ـ مالي

جـ ـ كتب أخرى

١ ـ العالم الاسلامي ومحاولة السيطرة عليه
٢ ـ الكشوف الجغرافية
٣ ـ اقتصاديات العالم الاسلامي
٤ ـ سكان العالم الاسلامي .
٥ ـ المسلمون تحت السيطرة الشيوعية
٦ ـ المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية
٧ ـ الجماعات البدائية
٨ ـ جغرافية البيئات